الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم
كلية الأدب العربي والفنون
قسم الدراسات اللغوية والأدبية

جامعة عبد الحميد بن باديس بمستغانم
كلية الأدب العربي والفنون
قسم الدراسات اللغوية والأدبية

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الدراسات الأدبية

تخصص: أدب مقارن وعالمي

بعنوان:

صورة الآخر في الرواية الجزائرية والفرنسية

دراسة مقارنة لرواية نجمة لكاتب ياسين ورواية الغريب لألبير كامو

إعداد الطالب:
زروقي نصر الدين

إشراف الأستاذ:
علام حسين

السنة الجامعية: 2025– 2026م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria

Ministry of Higher Education
And Scientific Research
University Abdelhamid Ibn Badis
Mostaganem
Faculty of Arabic Literature And Arts

وزارة التعليم العالي
والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس
مستغانم
كلية الأدب العربي و الفنون

قسم الدراسات اللغوية والأدبية

رخصة إيداع النسخة النهائية لمذكرة الماستر

أنا الممضي(ة) أسفله الأستاذ(ة): علام حسين

الرتبة العلمية: ..أستاذ دكتور ...

بصفتي مشرفا على مذكرة الماستر الخاصة بالطالبة :

الاسم واللقب: .....كروم ذهبية ..

التخصص: ... ماستر أدب حديث .....

السنة الجامعية: .. 2025 / 2026....

والموسومة: "...قصيدة الهايكو في الجزائر ..معاشو قرور انموذجا ....."

أشهد أن الطالبة قد أتمت إنجاز المذكرة وفق التوجيهات العلمية والمنهجية المطلوبة، وبعد مناقشتها والاخذ بعين الاعتبار ملاحظات لجنة المناقشة وتصحيحها، أرخص له(ا) بإيداع النسخة النهائية للمذكرة لدى مكتبة الكلية.

مستغانم في: ..26../..06../2026....

مصادقة رئيس القسم

أ.د غول شهلة بوزاد
رئيس
قسم الدراسات اللغوية والأدبية

إمضاء الأستاذ المشرف

الأستاذ الدكتور
علام حسين

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم
كلية الأدب العربي و الفنون
قسم
الدراسات اللغوية و الأدبية
تخصص
أدب مقارن و عالمي

مذكرة تخرج ضمن متطلبات نيل شهادة

صورة الأخر في الرواية الجزائرية والفرنسية دراسة مقارنة بين نجمة لكاتب ياسين والغريب البيركامو

من إعداد الطالب
- زروقي نصر الدين

تحت إشراف
- علام حسين

أعضاء لجنة المناقشة

الأستاذ(ة)		رئيسا
الأستاذ(ة)		مشرفا ومقررا
الأستاذ(ة)		مناقشا

السنة الجامعية: 2025 – 2026

نوقشت يوم:

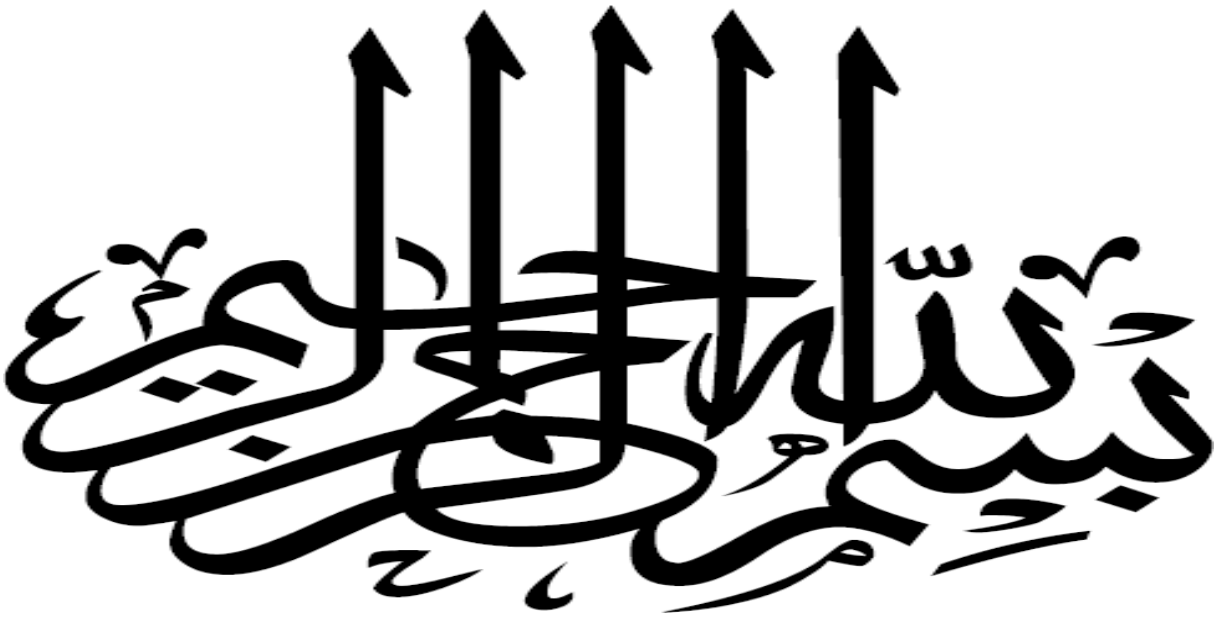

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿2﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿3﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿4﴾ إِيَّاكَ

نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿5﴾ أهدنا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿6﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ

عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿7﴾

الإهداء

إلى من أنار دربي بنور العلم والمعرفة،

إلى من كان سندا لي في كل خطوة من خطوات حياتي، أهدي ثمرة جهدي المتواضع.

إلى والدي العزيزين، اللذين غرسا في نفسي حب الاجتهاد والصبر، وكانا مصدر دعمي وقوتي، حفظهما الله وأدامهما تاجا فوق رأسي.

إلى أخي الغالي، الذي كان لي عونا وسندا، وشاركني لحظات التعب والأمل، فله مني كل المحبة والتقدير.

إلى كل أفراد عائلتي الذين أحاطوني بالتشجيع والدعاء الصادق.

إلى أستاذي المشرف، الذي لم يبخل علي بتوجيهاته ونصائحه القيمة، وكان خير مرشد ومعين طوال إنجاز هذا العمل.

إلى كل من ساهم من قريب أو بعيد في دعمي ومساندتي.

أهدي هذا العمل المتواضع، راجيا من الله التوفيق والسداد.

شكر وعرفان

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا، الذي وفقني وأعانني على إتمام هذا العمل، فله سبحانه أولا وآخرا كل الحمد والشكر على نعمه التي لا تعد ولا تحصى.

أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى نفسي، التي صبرت واجتهدت وتحملت مشقة البحث والدراسة حتى يخرج هذا العمل إلى النور.

كما أتوجه بجزيل الشكر إلى والدي الكريمين، على دعمهما المتواصل، وصبرهما، ودعواتهما الصادقة التي كانت خير معين لي طوال مسيرتي الدراسية.

وأتقدم بالشكر إلى أخي العزيز، الذي وقف إلى جانبي وشجعني في كل المراحل، وكان سندا حقيقيا لي.

ولا يفوتني أن أتقدم بأسمى عبارات الشكر والامتنان إلى أستاذي المشرف، الذي أفادني بتوجيهاته العلمية القيمة، وساعدني بنصائحه وملاحظاته البناءة، فكان نعم الأستاذ والموجه.

كما أشكر جميع الأساتذة الذين ساهموا في تكويني العلمي والمعرفي طوال سنوات الدراسة.

وأتقدم بالشكر إلى كل من قدم لي يد العون والمساعدة، من قريب أو بعيد، ولو بكلمة طيبة أو دعوة صادقة.

وفي الأخير، أسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يوفقنا جميعا لما فيه الخير والنجاح.

الملخص :

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل صورة الآخر في الرواية الجزائرية والفرنسية من خلال مقاربة مقارنة بين رواية نجمة لـ كاتب ياسين ورواية الغريب لـ ألبير كامو واعتمدت الدراسة على المنهج المقارن مدعوما بالمنهج الوصفي التحليلي للكشف عن تمثلات الآخر وعلاقتها بالهوية والسياق الاستعماري وقد بينت النتائج أن صورة الآخر في الروايتين لم تكن مجرد عنصر سردي، بل شكلت محورا أساسيا في بناء الرؤية الفكرية والثقافية لكل نص ففي رواية نجمة يظهر الآخر الاستعماري في إطار صراع تاريخي وثقافي، بينما تسعى الرواية إلى استعادة الذات الجزائرية وإبراز الذاكرة الجماعية والهوية الوطنية أما في رواية الغريب فتبدو الشخصية الجزائرية مهمشة سرديا، إذ يقدم العربي بوصفه حضورا محدودا يخضع لمنظور السارد الاستعماري وتكشف المقارنة عن اختلاف واضح في تمثيل الآخر تبعا لاختلاف المرجعيات الفكرية والثقافية للكاتبين، مما يؤكد دور الرواية في تشكيل التصورات المرتبطة بالهوية والانتماء والعلاقة بالآخر.

الكلمات المفتاحية صورة الآخر، الأدب المقارن، الرواية الجزائرية، الرواية الفرنسية، الهوية الثقافية، الاستعمار، نجمة، الغريب.

Abstract

This study aims to analyze the image of the Other in Algerian and French fiction through a comparative approach between the novel Nedjma by Kateb Yacine and The Stranger by Albert Camus. The research relies on the comparative method supported by descriptive and analytical approaches to explore representations of the Other and their relationship to identity and the colonial context. The findings reveal that the image of the Other is not merely a narrative element but a central component in shaping the intellectual and cultural vision of each novel. In Nedjma, the colonial Other is portrayed within a historical and cultural conflict, while the narrative seeks to restore the Algerian self, collective memory, and national identity. In contrast, The Stranger presents the Algerian character as narratively marginalized and viewed through a colonial perspective. The comparison highlights significant differences in representing the Other, reflecting the distinct cultural and ideological backgrounds of the two authors and emphasizing the role of fiction in shaping perceptions of identity, belonging, and alterity.

Keywords The Other, Comparative Literature, Algerian Novel, French Novel, Cultural Identity, Colonialism, Nedjma, The Stranger.

الفهرس

الفهرس

العنوان **الصفحة**

المقدمة العامة

المقدمة ..... ب

إشكالية الدراسة..... ج

مبررات اختيار الموضوع:..... ج

صعوبات الدراسة..... ح

هيكل الدراسة:..... خ

منهج الدراسة: ..... خ

أهمية الدراسة..... د

أهداف الدراسة..... د

الفصل الأول: الإطار المفاهيمي لصورة الآخر في الأدب

تمهيد..... 10

المبحث الأول: مفهوم الصورائية في الأدب المقارن..... 11

تعريف الصورائية..... 11

نشأة الصورائية في الدراسات الأدبية..... 14

دور الصورائية في تحليل صورة الآخر..... 18

المبحث الثاني: مفهوم الآخر وتمثلاته في الأدب..... 21

تعريف الآخر لغويا واصطلاحا..... 21

حضور الآخر في الأدب..... 22

علاقة صورة الآخر بالهوية الثقافية..... 26

خاتمة الفصل..... 29

الفصل الثاني: صورة الآخر في روايتي نجمة والغريب (دراسة مقارنة)

تمهيد..... 31

المبحث الأول: صورة الآخر في رواية نجمة..... 32

الآخر الاستعماري..... 32

الآخر الثقافي والاجتماعي في الرواية..... 35

المبحث الثاني: صورة الآخر في رواية الغريب..... 43

صورة العربي في الرواية..... 43

الآخر في السياق الاستعماري..... 46

خاتمة الفصل..... 52

الخاتمةالعامة..... 54

قائمة المراجع..... 57

قائمة الملاحق..... 62

المقدمـــــة العـــــامة

المقدمة

يشكل الأدب عبر مختلف عصوره مرآة تعكس واقع المجتمعات وتحولاتها الفكرية والثقافية والاجتماعية، إذ لا يقتصر دوره على التعبير الجمالي أو المتعة الفنية، وإنما يتجاوز ذلك ليصبح وسيلة لإنتاج المعنى وفهم الإنسان وعلاقاته داخل محيطه. ومن بين الأجناس الأدبية التي استطاعت أن تستوعب قضايا الإنسان وتحولاته بصورة واسعة نجد الرواية، التي فرضت حضورها بوصفها جنسا أدبيا قادرا على تمثيل الواقع وتفكيك بنياته وإعادة تشكيله وفق رؤية الكاتب وخلفيته الفكرية والثقافية. لذلك أصبحت الرواية مجالا خصبا لطرح الإشكالات المرتبطة بالهوية والانتماء والاختلاف الثقافي والعلاقات الإنسانية بمختلف أبعادها.

وقد شهدت الدراسات الأدبية المعاصرة اهتماما متزايدا بمسألة الهوية وما يرتبط بها من مفاهيم أبرزها مفهوم الآخر، باعتباره أحد المفاهيم التي تقوم عليها العلاقات الإنسانية والثقافية داخل المجتمعات. فالإنسان لا يبني إدراكه لذاته في عزلة عن الآخرين، بل تتشكل هويته من خلال الاحتكاك بالغير والتفاعل معه، سواء كان هذا الآخر فردا أو جماعة أو ثقافة أو سلطة أو لغة أو انتماء حضاريا مختلفا. ومن هنا أصبحت العلاقة بين الأنا والآخر موضوعا أساسيا في الفكر الفلسفي والاجتماعي والنقدي، لما تحمله من أبعاد تتعلق بالاعتراف والاختلاف والهيمنة والتفاعل والتبادل الثقافي.

ويعد مفهوم صورة الآخر من المفاهيم التي اكتسبت أهمية كبيرة في الدراسات الأدبية الحديثة، لأنه لا يقتصر على تقديم صورة واقعية عن الآخر، وإنما يكشف عن الكيفية التي يتم بها تمثيله داخل الخطاب الأدبي وفق منظور معين فالصورة الأدبية ليست نقلا مباشرا للواقع، بل بناء ثقافي وفني يتأثر بخلفية الكاتب وسياقه التاريخي والاجتماعي وموقفه من العالم ولذلك فإن دراسة صورة الآخر تسمح بالكشف عن الرؤى الضمنية التي يحملها النص، كما تساعد على فهم طبيعة العلاقات التي تربط الذات بالآخر داخل المجتمع.

وتزداد أهمية هذا الموضوع عندما يتعلق الأمر بالأدب الذي نشأ في سياقات استعمارية، لأن الاستعمار لم يكن مجرد سيطرة سياسية أو عسكرية، بل كان أيضا فعلا ثقافيا أنتج صورا متبادلة بين المستعمِر والمستعمَر، وأسهم في تشكيل تصورات معينة حول الذات والآخر. وفي هذا الإطار تبرز التجربة الجزائرية بوصفها واحدة من أكثر التجارب التاريخية تعقيدا من حيث التفاعل الثقافي والهوياتي، نتيجة الاحتلال الفرنسي الذي امتد لأكثر من قرن وترك آثارا عميقة على مختلف المستويات الاجتماعية والثقافية واللغوية.

وقد انعكس هذا الواقع الاستعماري بصورة واضحة في الأدب الجزائري عامة والرواية خاصة، حيث تحولت الكتابة الروائية إلى وسيلة للكشف عن معاناة المجتمع الجزائري والتعبير عن أزمة الهوية واستحضار الذاكرة الجماعية. كما أصبحت الرواية مجالا لإعادة النظر في العلاقة مع الآخر الفرنسي، سواء من خلال رفض الهيمنة أو محاولة فهم طبيعة هذا التفاعل الذي فرضته الظروف التاريخية وفي المقابل، فإن الأدب الفرنسي الذي كتب عن الجزائر قدم بدوره صورا متعددة للإنسان الجزائري وللواقع الاستعماري، إلا أن هذه الصور لم تكن دائما محايدة، بل ارتبطت في كثير من الأحيان بالموقع الثقافي والسياسي للكاتب وبالمرجعيات الفكرية التي ينطلق منها ومن هنا ظهرت الحاجة إلى الدراسات المقارنة التي تهدف إلى تحليل هذه التمثلات والكشف عن أوجه الاتفاق والاختلاف في بناء صورة الآخر داخل النصوص الروائية.

وتندرج الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية ضمن هذا الإطار المعقد، حيث وجد الكاتب الجزائري نفسه أمام وضعية استثنائية تتمثل في التعبير عن قضايا وطنه بلغة المستعمر، الأمر الذي أدى إلى إنتاج نصوص تجمع بين المقاومة الثقافية والرغبة في إعادة بناء الذات. وقد جعل هذا الوضع من الرواية الجزائرية فضاء للحوار والصراع في الوقت نفسه، وأداة لإعادة التفكير في مفاهيم الهوية والانتماء والذاكرة.

ومن بين الأعمال الروائية التي تجسد هذه الإشكالية بصورة واضحة رواية *نجمة* للكاتب كاتب ياسين، التي تعد محطة أساسية في مسار الرواية الجزائرية الحديثة، لما تتضمنه من أبعاد تاريخية وسياسية ورمزية تتجاوز حدود السرد التقليدي فقد استطاع كاتب ياسين من خلال هذا العمل أن يقدم رؤية عميقة للواقع الجزائري عبر شخصيات متعددة تعكس تمزق الهوية وتعقد العلاقة مع الآخر الاستعماري، كما جعل من شخصية نجمة رمزا تتقاطع فيه دلالات الوطن والتاريخ والانتماء.

وتبرز أهمية هذه الرواية في كونها لا تقدم الآخر بوصفه شخصية منفصلة عن الذات، وإنما تجعل حضوره جزءا من تشكل الوعي الجزائري ومن إعادة بناء الذاكرة الجماعية، حيث تتداخل العلاقات الإنسانية مع الصراع التاريخي لتنتج خطابا روائيا يقوم على مساءلة الماضي واستشراف المستقبل.

وفي المقابل تأتي رواية *الغريب* لألبير كامو باعتبارها من أشهر الأعمال الروائية الفرنسية التي ارتبطت بالجزائر خلال الفترة الاستعمارية، وقد أثارت اهتماما نقديا واسعا بسبب طبيعة تمثيلها للشخصية الجزائرية وللعلاقات الاجتماعية داخل المجتمع الاستعماري فعلى الرغم من أن الرواية تنطلق من رؤية فلسفية تتصل بفكرة العبث واللامعنى، إلا أن السياق المكاني والاجتماعي الذي تجري فيه الأحداث جعلها موضوعا للعديد من القراءات التي تناولت حضور الآخر داخل النص وتكشف المقارنة بين الروايتين عن وجود اختلاف جوهري في الرؤية إلى الإنسان وإلى الواقع التاريخي، إذ تنطلق كل رواية من مرجعية ثقافية وفكرية مختلفة تؤثر في بناء الشخصيات وفي تحديد موقع الآخر داخل السرد ففي الوقت الذي تسعى فيه رواية *نجمة* إلى استعادة الذات الجزائرية ومنحها صوتا داخل التاريخ، تبدو رواية *الغريب* أقرب إلى تقديم واقع يهيمن عليه منظور مختلف ينعكس على طبيعة حضور الشخصية الجزائرية وتمثيلها.

وتنبع أهمية الدراسة المقارنة بين الروايتين من كونها تسمح بفهم أعمق لكيفية تشكل صورة الآخر داخل الرواية الجزائرية والرواية الفرنسية، والكشف عن أثر الخلفية التاريخية والثقافية في بناء الخطاب

الروائي، إضافة إلى إبراز الدور الذي تؤديه الرواية في إنتاج التصورات المتعلقة بالهوية والانتماء والعلاقة مع المختلف.

وعليه فإن موضوع **صورة الآخر في الرواية الجزائرية والفرنسية: دراسة مقارنة بين رواية نجمة لكاتب ياسين ورواية الغريب لألبير كامو** يندرج ضمن الدراسات الأدبية المقارنة التي تسعى إلى تحليل تمثلات الذات والآخر داخل النص الروائي، والكشف عن الآليات الفنية والفكرية التي اعتمدها كل كاتب في بناء هذه الصورة، بما يسمح بفهم أوسع للعلاقة بين الأدب والتاريخ والثقافة في السياق الجزائري والفرنسي.

إشكالية الدراسة

وعليه يمكن صياغة إشكالية الدراسة في السؤال الآتي:

كيف تجلت صورة الآخر في رواية نجمة لكاتب ياسين ورواية الغريب لألبير كامو؟ وما أوجه الاتفاق والاختلاف في تمثيل الآخر بين الرواية الجزائرية والرواية الفرنسية؟

مبررات اختيار الموضوع

يندرج اختيار هذا الموضوع ضمن الاهتمام بالدراسات الأدبية المقارنة التي تسعى إلى الكشف عن طبيعة العلاقة بين النصوص الأدبية والسياقات الثقافية التي أنتجتها، كما يرتبط بالرغبة في فهم آليات تمثيل الآخر داخل الرواية الحديثة ودراسة حضور الأبعاد التاريخية والهوياتية في البناء السردي.

المبررات الذاتية

- الميل الشخصي إلى الأدب المقارن والدراسات الثقافية.
- الاهتمام بالرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية.
- الرغبة في دراسة مفهوم الآخر وتمثلاته الأدبية.
- الاهتمام بالأعمال الروائية ذات البعد التاريخي والهوياتي.

المبررات الموضوعية

- أهمية موضوع صورة الآخر في الدراسات النقدية الحديثة.
- القيمة الأدبية والفكرية لروايتي نجمة والغريب.
- قلة الدراسات المقارنة التي تجمع الروايتين من منظور الصورائية.
- ارتباط الموضوع بالسياق الاستعماري الجزائري الفرنسي.
- مساهمة الدراسة في إثراء البحث في الأدب المقارن.

صعوبات الدراسة

أثناء إنجاز هذه الدراسة واجه البحث مجموعة من الصعوبات المنهجية والمعرفية المرتبطة بطبيعة الموضوع وتعدد أبعاده النظرية والتطبيقية، ومن أبرزها:

- صعوبة ضبط مفهوم صورة الآخر وتعدد تعريفاته.
- تشعب المرجعيات النظرية المرتبطة بالصورائية.
- ندرة بعض المراجع المتخصصة باللغة العربية.
- اختلاف السياقين الثقافيين للروايتين.
- صعوبة المقارنة بين نصين ينتميان إلى مرجعيتين مختلفتين.
- كثافة الرموز والدلالات داخل رواية نجمة.
- تعدد القراءات النقدية لرواية الغريب.

منهج الدراسة

يعرف المنهج بأنه مجموعة الإجراءات والخطوات العلمية التي يعتمد عليها الباحث في دراسة الظواهر وتحليلها بهدف الوصول إلى نتائج موضوعية ودقيقة ويعد اختيار المنهج من أهم مراحل البحث العلمي لأنه يحدد طبيعة التعامل مع المادة المدروسة ويضمن انسجام الدراسة مع أهدافها وإشكاليتها.

ولقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج المقارن باعتباره الأنسب لطبيعة الموضوع، وذلك من خلال مقارنة صورة الآخر في روايتي نجمة والغريب، مع الاستفادة من المنهج الوصفي التحليلي في تحليل النصوص والكشف عن أبعادها الفنية والثقافية، ورصد أوجه التشابه والاختلاف بين العملين الروائيين.

هيكل الدراسة

اقتضت طبيعة الموضوع تقسيم الدراسة إلى فصلين يسبقهما جانب تمهيدي ويعقبهما خاتمة عامة فقد تضمن الجانب التمهيدي عرض الإشكالية والفرضيات ومبررات اختيار الموضوع وصعوبات الدراسة والمنهج المعتمد وأهمية الدراسة وأهدافها، وذلك بغرض الإحاطة بالإطار العام للبحث وتحديد منطلقاته النظرية والمنهجية.

أما الجانب التطبيقي فقد تم توزيعه على فصلين مترابطين؛ خصص الفصل الأول للإطار المفاهيمي لصورة الآخر في الأدب، حيث تناول مفهوم الصورائية ونشأتها ودورها، ثم مفهوم الآخر وتمثلاته وعلاقته بالهوية الثقافية. بينما خصص الفصل الثاني للدراسة المقارنة لصورة الآخر في روايتي نجمة والغريب من خلال تحليل تمثلات الآخر داخل كل رواية وربطها بالسياق التاريخي والثقافي وصولا إلى النتائج العامة للدراسة.

أهمية الدراسة

تنبع أهمية هذه الدراسة من القيمة العلمية والموضوعية التي يطرحها موضوع صورة الآخر داخل الرواية الجزائرية والفرنسية.

- إبراز مكانة الدراسات المقارنة في النقد الأدبي.
- الكشف عن تمثلات الآخر داخل الخطاب الروائي.
- فهم العلاقة بين الأدب والهوية الثقافية.
- توضيح أثر السياق الاستعماري في تشكيل الصور الأدبية.

- إبراز خصوصية الرواية الجزائرية مقارنة بالرواية الفرنسية.
- المساهمة في تطوير الدراسات الصورائية.
- فتح آفاق لدراسات مقارنة لاحقة.

أهداف الدراسة

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن طبيعة صورة الآخر في الرواية الجزائرية والرواية الفرنسية من خلال دراسة مقارنة بين رواية نجمة لكاتب ياسين ورواية الغريب لألبير كامو، وذلك بغرض التعرف على الآليات الفنية والفكرية التي اعتمدها كل كاتب في بناء تمثلات الآخر داخل النص الروائي، وتحليل العلاقة بين الهوية والانتماء والسياق الاستعماري، إضافة إلى الوقوف على أوجه التشابه والاختلاف بين العملين، وإبراز أثر الخلفية الثقافية والتاريخية في تشكيل الرؤية السردية، مع محاولة الإسهام في إثراء الدراسات المقارنة وتوسيع البحث في مجال الصورائية وتحليل الخطاب الروائي.

الفصل الأول:

الإطار المفاهيمي لصورة الآخر في الأدب

يعتبر الأدب مرآة تعكس تفاعل الإنسان مع محيطه الاجتماعي والثقافي، إذ تتجلى من خلاله مختلف التصورات والرؤى المرتبطة بالذات والآخر وقد حاز مفهوم "الآخر" مكانة بارزة في الدراسات الأدبية الحديثة، بوصفه عنصرا محوريا في تشكيل الهوية وتحديد ملامح الاختلاف والتقاطع بين الثقافات وفي هذا الإطار، برزت الصورائية كآلية نقدية تسعى إلى تحليل تمثلات الآخر داخل النصوص الأدبية، والكشف عن الأبعاد الرمزية والدلالية التي تؤطر هذه الصورة وتزداد أهمية هذا الموضوع في الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، لما يعكسه من تجربة استعمارية معقدة وصراع ثقافي متداخل.

ومن بين أبرز الأعمال التي عالجت هذه الإشكالية، رواية "نجمة" لكاتب ياسين و"الغريب" لألبير كامو، حيث تتقاطع فيهما تمثلات الذات والآخر ضمن سياقات مختلفة وانطلاقا من ذلك، يهدف هذا الفصل إلى تأطير مفهوم صورة الآخر عبر مقاربة مفاهيمية تمهّد لتحليل النصين الروائيين.

المبحث الأول: مفهوم الصورائية في الأدب المقارن

يعتبر مفهوم الصورائية من المفاهيم الأساسية التي كان لها أثر واضح في تطور الدراسات المقارنة، إذ يعنى بدراسة الكيفية التي يصوغ بها الأدب صورا ذهنية عن الآخر، وهو ما يتيح فهما أعمق لطبيعة العلاقات الثقافية بين الشعوب كما تعكسها النصوص الأدبية وانطلاقا من ذلك، سيتم تناول هذا المفهوم من خلال تحديد معناه، والوقوف عند نشأته، ثم إبراز دوره في تحليل صورة الآخر.

تعريف الصورائية

تندرج الصورائية ضمن المفاهيم الحديثة نسبيا في مجال الأدب المقارن، حيث تهتم بتحليل الصورة التي يقدمها نص أدبي عن ثقافة أو شعب مغاير، وقد ظهر هذا المفهوم في سياق تطور الدراسات النقدية والثقافية التي أولت اهتماما متزايدا بتمثلات الآخر داخل الخطاب الأدبي وتكمن أهميتها في قدرتها على الكشف عن الخلفيات الذهنية والثقافية التي تؤطر نظرة الذات إلى الغير، كما تسهم في إبراز الأبعاد الإيديولوجية الكامنة وراء هذه الصور ومن هذا المنطلق، يصبح من الضروري تناول هذا المفهوم من زاويتين أساسيتين، لغوية واصطلاحية.

تعريف الصورائية لغة

يرتبط مفهوم الصورائية من الناحية اللغوية بكلمة "الصورة"، التي تشير في المعاجم العربية إلى الشكل أو الهيئة التي يتخذها الشيء، حيث تعبر عن مظهره الخارجي، غير أنها لا تقتصر على الجانب الحسي فقط، بل تمتد لتشمل ما يتكون في الذهن من تمثلات، وهو ما يجعلها عنصرا أساسيا في عملية الإدراك والتصور، ومن هذا المنطلق يمكن فهم الصورة باعتبارها بناء ذهنيا، الأمر الذي مهد لظهور مفهوم الصورائية في المجال الأدبي[1].

[1] ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، 2000، ص 482.

كما تشير المعاجم الحديثة إلى أن الصورة تمثل الكيفية التي يحضر بها الشيء في الذهن، وهي لا تعكس الواقع بالضرورة بشكل مطابق، بل تعبر عن إدراك ذاتي يتأثر بعوامل ثقافية ونفسية متعددة، وهو ما يمنحها بعدا تأويليا يتجاوز حدود الوصف المباشر، ويؤكد أن تشكل الصورة يتم داخل وعي الإنسان، مما يجعلها قابلة للتحليل ضمن الخطاب الأدبي[1].

وفي الإطار نفسه، ترتبط الصورة باللغة بوصفها أداة تعبير عن رؤية معينة للعالم، إذ تتكون من خلال الخطاب، ولا تمثل مجرد نقل للواقع، بل إعادة تشكيل له وفق منظور خاص، كما أنها تحمل في طياتها أبعادا ثقافية وإيديولوجية تعكس موقف الذات من الآخر، وهو ما يمنحها طابعا متغيرا وديناميكيا، وعلى هذا الأساس تقوم الصورائية على دراسة هذه الصور وتحليلها داخل النصوص الأدبية[2].

تعريف الصورائية اصطلاحا

تعرف الصورائية في الاصطلاح النقدي بأنها فرع من فروع الأدب المقارن يهتم بدراسة صورة الآخر كما تتجلى في النصوص الأدبية فهي لا تقتصر على وصف الآخر، بل تسعى إلى تحليل التمثلات التي تبنيها النصوص حوله، كما تكشف عن الخلفيات الثقافية التي تتحكم في تشكيل هذه الصور ويبرز هذا المفهوم العلاقة بين الأدب والهوية الثقافية ولذلك، تعد الصورائية أداة لفهم التفاعل بين الشعوب[3].

كما تعنى الصورائية بدراسة الصور النمطية التي تتشكل داخل الخطاب الأدبي، والتي تعكس رؤية ثقافية محددة تجاه الآخر. فهذه الصور لا تنشأ بشكل عفوي، بل ترتبط بسياقات تاريخية وثقافية معينة، كما

[1] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، 2004، ص 521.

[2] المسدي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ط1، الدار العربية للكتاب، تونس، تونس، 1982، ص 73.

[3] Pageaux, Daniel-Henri, Littérature comparée, 1ère éd., Dar Al-Farabi, Beyrouth, Liban, 1994, p. 112.

أنها قد تحمل أحكامًا مسبقة أو تمثلات جماعية راسخة وهذا ما يجعل تحليلها ضروريًا لفهم الخطاب الأدبي. وتبرز هنا أهمية الربط بين النص وسياقه الثقافي[1].

وفي النقد العربي، تفهم الصورائية على أنها دراسة تمثلات الآخر داخل النص، وتحليل الكيفية التي تُبنى بها هذه التمثلات فهي تركز على البنية السردية والخطابية التي تشكل صورة الآخر، كما تسعى إلى الكشف عن الأبعاد الرمزية والدلالية الكامنة وراءها وهذا ما يجعلها مدخلا نقديا لفهم العلاقة بين الذات والغير وتبرز دور الأدب في تشكيل الوعي الثقافي[2].

يرى دانييل هنري باجو أن الصورائية تعنى بدراسة الصور التي يُنتجها خطاب أدبي عن شعب أو ثقافة أخرى، حيث تفهم هذه الصور بوصفها تمثلات ذهنية جماعية تعكس نظرة الذات إلى الغير، كما يؤكد أن هذه الصور لا تبنى بمعزل عن السياقات التاريخية والإيديولوجية، بل ترتبط بها ارتباطا وثيقا وتعد الصورائية عنده أداة لتحليل العلاقات الثقافية بين الأمم، كما تسهم في الكشف عن الأبعاد الرمزية التي تتحكم في تشكيل صورة الآخر وهي بذلك تندرج ضمن حقل الأدب المقارن بوصفها منهجا نقديا[3].

ويعرف جون مارك مورا الصورائية بأنها دراسة نقدية تهتم بتحليل الصور النمطية التي كونها الأدب عن الآخر، مع التركيز على آليات تشكل هذه الصور داخل النصوص ويرى أن هذه التمثلات تعبر عن وعي جماعي وثقافي أكثر من كونها تعبيرا فرديا، كما يربط الصورائية بالسياقات الاستعمارية وما بعدها،

---

[1] Moura, Jean-Marc, Littérature comparée, 1ère éd., Éditions Dar Toubkal, Casablanca, Maroc, 1998, p. 95.

[2] بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1990، ص 64.

[3] Pageaux, Daniel-Henri, La littérature générale et comparée, 1re édition, Armand Colin, Paris, France, 1994, p. 112.

حيث تتجلى بوضوح صور الهيمنة والاختلاف ويؤكد أن تحليل هذه الصور يسمح بفهم أعمق للعلاقات بين الثقافات ولذلك، تعد الصورائية أداة لفك البنى الثقافية المضمرة في النصوص[1].

أما هوغ ديديه، فينظر إلى الصورائية بوصفها دراسة للكيفية التي يمثل بها الآخر داخل الخطاب الأدبي، مع التركيز على البعد التخييلي لهذه التمثلات ويبرز أن صورة الآخر ليست انعكاسا مباشرا للواقع، بل بناء أدبي يتأثر بالخيال والذاكرة الجماعية، كما يؤكد أن هذه الصور قد تكون مشحونة بأحكام قيمية وثقافية ويرى أن الصورائية تكشف عن التوتر القائم بين الذات والغير داخل النصوص ومن ثم، فهي تتيح قراءة نقدية للعلاقات الثقافية[2].

وفي النقد العربي، يعرف حسن بحراوي الصورائية بأنها تحليل تمثلات الآخر في النصوص السردية، من خلال دراسة البنية الحكائية والخطابية التي تنتج هذه الصور ويؤكد أن صورة الآخر تتشكل عبر تقنيات السرد والوصف والحوار، كما يرى أن هذه التمثلات تعكس موقفا ثقافيا وإيديولوجيا للكاتب وتبرز الصورائية عنده دور الأدب في بناء صور ذهنية عن الآخر ولذلك، فهي مدخل أساسي لفهم العلاقة بين الهوية والاختلاف[3].

نشأة الصورائية في الدراسات الأدبية.

تعد الصورائية من الحقول النقدية التي تبلورت في سياق تطور الأدب المقارن، حيث ارتبط ظهورها بتحولات فكرية وثقافية عميقة شهدها العالم الغربي خلال القرن التاسع عشر فقد بدأ الاهتمام بالعلاقات بين الآداب القومية يتجاوز حدود التأثير والتأثر، ليتجه نحو دراسة التمثلات والصور التي يشكلها أدب أمة عن

[1] Moura, Jean-Marc, L'Europe littéraire et l'ailleurs, 1re édition, Presses Universitaires de France, Paris, France, 1998, p. 95.

[2] Didier, Hugues, Image et imaginaire dans la littérature, 1re édition, Presses Universitaires, Paris, France, 1989, p. 67.

[3] بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1990، ص 64.

أمة أخرى وكان هذا التحول نتيجة وعي متزايد بأهمية البعد الثقافي في فهم النصوص الأدبية، خاصة في ظل التوسع الاستعماري الأوروبي الذي أفرز احتكاكا مباشرا بين الشعوب والثقافات ومن هنا، بدأت تتشكل ملامح أولية لما سيعرف لاحقا بالصورائية، بوصفها دراسة لصورة الآخر في الأدب[1].

في بداياتها، ارتبطت الصورائية بالدراسات التاريخية للأدب، حيث كان النقاد يسعون إلى تتبع صورة الشعوب الأجنبية في النصوص الكلاسيكية وقد ركزت هذه الدراسات على رصد الأحكام والتصورات التي يحملها الأدب عن الآخر، دون التعمق في تحليل بنيتها أو خلفياتها الثقافية ومع ذلك، فقد أسهمت هذه المحاولات في لفت الانتباه إلى أهمية الصورة بوصفها عنصرًا دالًا داخل النص الأدبي، كما مهّدت الطريق لظهور مقاربات أكثر عمقا تهتم بتحليل هذه الصور في سياقها الثقافي والفكري ومع تطور الأدب المقارن في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، بدأ الاهتمام يتجه نحو دراسة العلاقات الثقافية بين الأمم من خلال الأدب وقد ساهم هذا التوجه في إبراز دور الصور الأدبية في تشكيل التصورات المتبادلة بين الشعوب ولم تعد الصورة تفهم بوصفها انعكاسا بسيطا للواقع، بل أصبحت تدرس باعتبارها بناء ثقافيا يعكس رؤية معينة للعالم وهنا، بدأت الصورائية تتخذ طابعا منهجيا، حيث تم الانتقال من الوصف إلى التحليل، ومن رصد الصور إلى تفسيرها[2].

وقد لعبت المدرسة الفرنسية في الأدب المقارن دورا محوريا في تأسيس الصورائية، حيث اهتمت بدراسة صورة الآخر في النصوص الأدبية ضمن إطار العلاقات الثقافية فقد سعى الباحثون الفرنسيون إلى تحليل الصور التي ينتجها الأدب عن الشعوب الأخرى، مع التركيز على الأبعاد التاريخية والإيديولوجية لهذه الصور وكان هذا التوجه مرتبطا بالسياق الاستعماري الذي جعل من مسألة الآخر موضوعا مركزيا

[1] نجمي، حسن، الفضاء السردي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ص131.

[2] عصفور، جابر، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1992، ص47.

في الفكر الأوروبي ومن هنا، أصبحت الصورائية أداة لفهم تمثلات الآخر داخل الخطاب الأدبي[1] ومع منتصف القرن العشرين، شهدت الصورائية تطورا ملحوظا بفضل إسهامات عدد من الباحثين الذين عملوا على تأصيلها نظريا ومنهجيا فقد تم الانتقال من مجرد دراسة الصور إلى تحليل آليات إنتاجها داخل النصوص، كما تم التركيز على العلاقة بين الصورة والخيال، وبين الأدب والتمثلات الجماعية وقد ساهم هذا التطور في توسيع مجال الصورائية، لتشمل دراسة الصور النمطية، والتمثلات الثقافية، والخيال الجماعي وهو ما جعلها تتقاطع مع مجالات معرفية أخرى مثل الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع[2].

وفي هذا السياق، برزت أعمال دانييل هنري باجو التي أسهمت في بلورة مفهوم الصورائية بشكل واضح فقد ركز على دراسة الصور بوصفها تمثلات ثقافية تعكس علاقة الذات بالآخر، كما دعا إلى تحليل هذه الصور في إطارها التاريخي والثقافي وقد شكلت هذه المقاربة نقلة نوعية في الدراسات المقارنة، حيث تم تجاوز النظرة السطحية للصورة، والانتقال إلى تحليلها بوصفها خطابا يحمل دلالات متعددة[3].

كما أسهمت في ترسيخ الصورائية كحقل مستقل داخل الأدب المقارن وإلى جانب ذلك، أسهم جون مارك مورا في تطوير الصورائية من خلال ربطها بدراسات ما بعد الاستعمار، حيث ركز على تحليل الصور التي ينتجها الأدب الأوروبي عن الشعوب المستعمَرة وقد أبرز أن هذه الصور غالبًا ما تكون مشحونة بأحكام مسبقة وتعكس علاقات الهيمنة، كما دعا إلى إعادة قراءة هذه التمثلات في ضوء التحولات الثقافية

[1] العودات، حسين، صورة العرب لدى الآخر في ضوء العلاقات التاريخية، ط1، دار الساقي، بيروت، لبنان، 2014، ص631.

[2] بعلي، حفناوي، صحراء الجزائر الكبرى في الرحلات وظلال اللوحة في الكتابات الغربية، (د.ط)، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، (د.م)، (د.ب)، (د.ت)، ص82.

[3] السليمان، أحمد ياسين، التجليات الفنية: العلاقة بين الأنا والآخر في الشعر العربي المعاصر، (د.ط)، دار الزمان، دمشق، سوريا، (د.ت)، ص53.

والسياسية التي عرفها العالم وقد ساعد هذا التوجه في توسيع نطاق الصورائية، لتشمل قضايا الهوية والاختلاف والتعدد الثقافي[1].

كما شهدت الصورائية تطورا في النقد العربي، حيث تم توظيفها في دراسة صورة الغرب في الأدب العربي، وصورة العربي في الأدب الغربي وقد سعى النقاد العرب إلى الاستفادة من هذا المنهج في تحليل التمثلات الثقافية داخل النصوص، مع مراعاة الخصوصيات التاريخية والاجتماعية للبيئة العربية وقد ساهم هذا التفاعل في إثراء الصورائية، ومنحها بعدا عالميا يتجاوز حدود الثقافة الغربية ومع تطور الدراسات الثقافية في العقود الأخيرة، أصبحت الصورائية جزءا من مقاربات أوسع تهتم بتحليل الخطاب وتمثلات الهوية فقد تم ربطها بمفاهيم مثل الآخر، والاختلاف، والتمثيل، والهوية الثقافية، كما تم توظيفها في دراسة النصوص الأدبية وغير الأدبية، مثل الخطابات الإعلامية والسياسية وهذا ما يدل على مرونة هذا المفهوم وقدرته على التكيف مع مختلف الحقول المعرفية[2].

وتكمن أهمية الصورائية اليوم في قدرتها على الكشف عن البنى العميقة التي تتحكم في تمثيل الآخر داخل الخطاب الأدبي فهي لا تكتفي بوصف الصورة، بل تسعى إلى تحليل خلفياتها الثقافية والإيديولوجية، كما تتيح فهما أعمق للعلاقات بين الشعوب، من خلال دراسة التمثلات المتبادلة بينها وهو ما يجعلها أداة نقدية فعالة في تحليل النصوص الأدبية في سياقها الثقافي ومن خلال هذا المسار التاريخي، يتضح أن الصورائية لم تظهر فجأة، بل هي نتيجة تطور تدريجي في الدراسات الأدبية، بدأ بالاهتمام بالعلاقات بين الآداب، وانتهى بتحليل التمثلات الثقافية داخل النصوص وقد ساهمت التحولات الفكرية والاجتماعية في

[1] ملحان، ريمون، الأدب المقارن والأدب العام، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1972، ص61.

[2] شحاتة، حسن، الذات والآخر في الشرق والغرب: تصور ودلالات وإشكالات، ط2، دار العالم العربي، القاهرة، مصر، 2008، ص65.

تشكيل هذا الحقل، الذي أصبح اليوم من أهم مجالات البحث في الأدب المقارن، كما يعكس هذا التطور انتقال النقد الأدبي من التركيز على النص في ذاته، إلى الاهتمام بسياقه الثقافي[1].

وبذلك، فإن نشأة الصورائية تعبر عن تحول عميق في طريقة قراءة الأدب، حيث لم يعد النص يدرس بمعزل عن العالم، بل أصبح يفهم في علاقته بالآخر وقد أسهم هذا التحول في إثراء الدراسات الأدبية، وفتح آفاق جديدة لتحليل النصوص، كما أتاح فهما أعمق للتفاعلات الثقافية التي يشهدها العالم وهو ما يجعل الصورائية حقلا حيويا ومفتوحا على مختلف المقاربات النقدية[2].

دور الصورائية في تحليل صورة الآخر.

تؤدي الصورائية دورا محوريا في تحليل صورة الآخر داخل النصوص الأدبية، إذ تعنى بالكشف عن الكيفية التي يتم من خلالها بناء هذا الآخر وتمثيله فهي لا تكتفي برصد حضور الآخر، بل تتجاوز ذلك إلى تفكيك الآليات التي تسهم في تشكيل صورته داخل الخطاب الأدبي ومن خلال هذا المنظور، يصبح النص مجالا لإبراز التفاعل بين الذات والغير، حيث تتحدد صورة الآخر وفق رؤية ثقافية مخصوصة، كما تساعد الصورائية على فهم البعد الرمزي للصورة، باعتبارها تعبيرًا عن مواقف فكرية وإيديولوجية[3].

وتكمن أهمية الصورائية في قدرتها على تحليل التمثلات الذهنية التي يحملها الكاتب أو المجتمع تجاه الآخر، والتي تنعكس في النصوص الأدبية بصيغ متعددة فقد يظهر الآخر في صورة نمطية جاهزة، أو في صورة مركبة تعكس التوتر بين القبول والرفض ومن هنا، تتيح الصورائية الكشف عن الخلفيات

[1] حامد، زهران، التوجيه والإرشاد النفسي، ط2، عالم الكتب، (د.م)، (د.ب)، 1988، ص83.

[2] معوش، سالم، صورة الغرب في الرواية العربية، ط1، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1998، ص102.

[3] الحاج، ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي: الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، ج1، ط1، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2002، ص87.

الثقافية التي تؤثر في بناء هذه الصور، كما تبرز أن صورة الآخر ليست معطى ثابتا، بل هي نتاج تفاعل معقد بين التجربة الفردية والذاكرة الجماعية[1].

كما تسهم الصورائية في إبراز العلاقة بين الصورة الأدبية والسياق التاريخي، حيث تتأثر تمثلات الآخر بالظروف السياسية والاجتماعية التي يمر بها المجتمع ففي السياقات الاستعمارية مثلا، غالبا ما تتسم صورة الآخر بالتوتر والصراع، وتعكس علاقات الهيمنة أو المقاومة ومن خلال تحليل هذه الصور، يمكن فهم طبيعة العلاقات بين الثقافات المختلفة، كما تساعد الصورائية على قراءة النص الأدبي باعتباره وثيقة ثقافية تعبّر عن مرحلة تاريخية معينة ومن جهة أخرى، تبرز الصورائية الدور الذي تلعبه اللغة في تشكيل صورة الآخر، حيث يتم بناؤها عبر الوصف، والسرد، والحوار، واختيار الألفاظ فكل عنصر لغوي يسهم في إنتاج دلالة معينة تحدد ملامح الآخر داخل النص، كما تكشف الصورائية عن الطابع الانتقائي لهذه الصور، إذ يتم التركيز على بعض الصفات وإهمال أخرى، بما يخدم رؤية معينة وهذا ما يجعل صورة الآخر بناء فنيا يخضع لاختيارات واعية أو غير واعية من قبل الكاتب[2].

وتساعد الصورائية أيضا في تحليل الصور النمطية التي تتكرر في الأدب، والتي غالبا ما تعكس أحكاما مسبقة أو تصورات جاهزة عن الآخر إذ تعمل على تفكيك هذه الأنماط، والكشف عن أصولها الثقافية والإيديولوجية، كما تبين كيف يمكن للأدب أن يعيد إنتاج هذه الصور أو يسهم في تجاوزها ومن هنا، تكتسب الصورائية بعدًا نقديًا، لأنها لا تكتفي بالتحليل، بل تفتح المجال لإعادة النظر في هذه التمثلات وفي سياق آخر، تتيح الصورائية فهم العلاقة بين صورة الآخر وبناء الهوية، حيث تتحدد هوية الذات غالبا في مقابل الآخر. فالصورة التي يشكلها النص عن الغير تسهم في تحديد ملامح الذات، سواء من خلال

[1] أبو شهاب، رامي، الرهان والمخاتلة: خطاب ما بعد الكولونيالية في النقد العربي المعاصر (النظرية والتطبيق)، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2013، ص41.

[2] إدجار، أندرو وآخرون، موسوعة النظرية الثقافية: المفاهيم والمصطلحات الأساسية، ترجمة: هناء الجوهري، مراجعة وتقديم: محمد الجوهري، ط2، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2014، ص69.

الاختلاف أو التشابه، كما تظهر أن الهوية ليست معطى ثابتا، بل هي بناء متغير يتشكل عبر التفاعل مع الآخر ومن خلال هذا التحليل، يمكن إدراك الأبعاد الثقافية العميقة التي تحكم العلاقة بين الذات والغير[1].

كما تسهم الصورائية في توسيع مجال القراءة الأدبية، إذ تدعو إلى تجاوز التحليل الداخلي للنص، والاهتمام بسياقه الثقافي والاجتماعي فهي تربط بين الأدب والعلوم الإنسانية الأخرى، مثل علم الاجتماع والأنثروبولوجيا وهذا ما يمنحها طابعا متعدد التخصصات، ويجعلها أداة فعالة في فهم الظواهر الثقافية، كما تساعد على قراءة النصوص في ضوء التفاعلات الحضارية التي يشهدها العالم وتبرز أهمية الصورائية بشكل خاص في دراسة الأدب الذي نشأ في سياقات احتكاك ثقافي، مثل الأدب الاستعماري أو ما بعد الاستعمار ففي هذه النصوص، تتجلى صورة الآخر بشكل واضح، وتعكس علاقات معقدة من الهيمنة والمقاومة ومن خلال تحليل هذه الصور، يمكن فهم طبيعة الخطاب الأدبي في هذه السياقات، كما تسهم الصورائية في الكشف عن التوترات التي تحكم العلاقة بين الثقافات المختلفة[2].

وبذلك، فإن الصورائية تعد أداة نقدية أساسية لتحليل صورة الآخر في الأدب، لما تتيحه من إمكانيات في تفكيك التمثلات الثقافية والكشف عن أبعادها العميقة فهي لا تدرس الصورة في ذاتها، بل تسعى إلى فهم ما وراءها من دلالات ومعان، كما تسهم في إبراز دور الأدب في تشكيل الوعي بالآخر، وفي بناء العلاقات بين الشعوب ومن هنا، تتجلى أهميتها في الدراسات الأدبية المعاصرة، بوصفها مدخلًا لفهم التعدد والاختلاف الثقافي[3].

---

[1] الوائلي، عامر عبد زيد، تأصيل مفهوم الاستشراق، ضمن: موسوعة الاستشراق: معاودة نقد التمركز الغربي وكشف التحولات في الخطاب ما بعد الكولونيالي، إشراف وتحقيق: عامر عبد زيد الوائلي وطالب محيبس الوائلي، ط1، ابن النديم للنشر والتوزيع ودار الروافد الثقافية ناشرون، بيروت، لبنان، 2015، ص82.

[2] منور، أحمد، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي: نشأته وتطوره وقضاياه، ط1، دار التنوير، الجزائر، 2013، ص97.

[3] عصفور، جابر، المرايا المتجاورة: دراسة في نقد طه حسين، (د.ط)، دار قباء، القاهرة، مصر، 1998، ص32.

المبحث الثاني: مفهوم الآخر وتمثلاته في الأدب

يحتل مفهوم "الآخر" مكانة محورية في الفكر الأدبي والنقدي، لما يحمله من أبعاد فلسفية وثقافية متعددة ويظهر هذا المفهوم في الأدب عبر تمثلات متنوعة تعكس علاقة الذات بالغير في سياقات مختلفة وسيتم التطرق إلى تعريف الآخر، حضوره في الأدب، وعلاقته بالهوية الثقافية.

تعريف الآخر

تعريف الآخر لغويا

يدل مفهوم الآخر في اللغة العربية على كل ما يخرج عن نطاق الذات، أي ما يختلف عن الإنسان أو لا ينتمي إليه، وقد عرّفه بعض الباحثين بأنه "كل مغاير يقابل الذات"[1].

ويرى محمد شاكر أن لفظ "آخر" يرتبط أساسا بمعاني التباين والاختلاف، حيث يستعمل للدلالة على الشخص أو الشيء الذي لا يطابق المتحدث أو لا يندرج ضمن نفس الإطار، ويؤكد أن هذا البعد اللغوي يشكل منطلقا أساسيا لفهم الامتدادات الاجتماعية والثقافية للمفهوم في الأدب، لأن إدراك العلاقة بين الذات والآخر ينبني في البداية على هذا التمييز اللغوي[2].

ومن جهتها، تشير فاطمة الزهراء إلى أن كلمة "الآخر" في استعمالها اللغوي لا تقتصر على التسمية فقط، بل تحمل في طياتها أبعادا ثقافية وسياسية، خاصة في سياقات التفاعل بين المجتمعات أو حالات الصراع والهجرة، وترى أن اللغة تؤدي دورا أساسيا في الفصل بين الذات والغير، مما يجعل فهم الدلالة اللغوية للمفهوم ضروريا لتحليل تمثلاته في الأدب والثقافة[3].

تعريف الآخر اصطلاحا

[1] عبد الوهاب المسيري، الأقليات والآخر في الفكر العربي، القاهرة: دار الفكر العربي، 2001، ص. 45.

[2] محمد شاكر، مدخل إلى الدراسات الثقافية، بيروت: دار الطليعة، 2005، ص. 32.

[3] فاطمة الزهراء، اللغة والهوية الثقافية، الرباط: دار النشر المغربية، 2010، ص. 28.

أما من الناحية الاصطلاحية، فيشير مفهوم الآخر إلى كل ما يمثل اختلافا أو تحديا للهوية، سواء كانت فردية أو جماعية، وهو بذلك يرتبط ارتباطا وثيقا بالأبعاد الثقافية والسياسية، حيث يرى إدوارد سعيد أن الآخر في إطار الدراسات الاستشراقية يتمثل في الشعوب والثقافات التي يصورها الغرب على أنها مختلفة وغريبة، وغالبا ما يتم تقديمها في صورة دونية[1].

ويذهب علي يوسف إلى أن تحديد مفهوم الآخر اصطلاحيا لا يقتصر على المظاهر الخارجية للاختلاف، بل يمتد ليشمل الجوانب النفسية والاجتماعية، إذ يُنظر إليه كعنصر يواجه الذات ويسهم في تشكيلها، ومن هذا المنظور يسمح التعريف الاصطلاحي بدراسة صورة الآخر في الأدب دراسة نقدية تربط بين اللغة والبنية الاجتماعية وعلاقات القوة[2].

أما ليلى العبد الله، فترى أن مفهوم الآخر يتجاوز ذلك ليشمل أيضا البعد الثقافي والإيديولوجي، حيث يشكل مدخلا لفهم مختلف أشكال التوتر والصراع داخل النصوص الأدبية والمجتمعات، وبذلك لا يُعد الآخر مجرد عنصر سردي، بل أداة تحليلية تساعد على استكشاف قضايا الهوية وتمثلاتها داخل الخطاب الأدبي[3].

حضور الآخر في الأدب.

يحتل الآخر في الأدب مكانة بارزة باعتباره أداة حيوية لفهم الذات والهوية الثقافية والاجتماعية، فهو ليس مجرد شخصية ثانوية أو حدث عرضي داخل النص، بل هو عنصر جوهري يسهم في تشكيل الرواية، المسرحية، أو الشعر[4].

---

[1] إدوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة محمد مصطفى، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، 1995، ص. 12.

[2] علي يوسف، الآخر في الأدب العربي، عمان: دار المناهج، 2008، ص. 56.

[3] ليلى العبد الله، الهوية والصراع الثقافي، الدار البيضاء: المركز العربي للأبحاث، 2012، ص. 71.

[4] طرابيشي، جورج، شرق وغرب: رجولة وأنوثة – دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية، ط2، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1979، ص. 42.

ويكشف عن التفاعلات الإنسانية المتشابكة ويظهر حضور الآخر من خلال تصوير الاختلاف والتباين بين الشخصيات، حيث يعكس الأبعاد النفسية والاجتماعية والثقافية للمجتمع الذي ينتمي إليه الكاتب وفي كثير من الروايات، يتم تقديم الآخر كمرآة للذات، فهو الذي يسلط الضوء على التناقضات الداخلية للشخصيات، ويكشف عن الصراعات الخفية بين الرغبات والقيود الاجتماعية، وبين ما هو مألوف وما هو غريب أو مغاير[1].

يتجلى حضور الآخر كذلك في تجسيد الفئات المهمشة والمختلفة في المجتمع، سواء كانت طبقية أو عرقية أو ثقافية، فهو يمثل تجربة الغربة والاغتراب، ويجعل القارئ يعي التحديات التي تواجهها تلك الفئات في التكيف مع البيئات الاجتماعية المختلفة[2] ومن خلال هذا التمثيل، يصبح الأدب أداة لفهم الصراع الاجتماعي والسياسي، إذ يتيح دراسة تأثير السلطة، التمييز، والتحيزات الثقافية على الأفراد والجماعات ويؤكد ذلك ما نجده في الأدب المعاصر والحديث، حيث يتم التركيز على تقديم الآخر كرمز للتنوع الثقافي، ولتسليط الضوء على التجارب الإنسانية المشتركة، بعيدا عن الحكم المسبق أو التعميم، مما يجعل النص الأدبي منصة للحوار والتواصل بين الثقافات المختلفة[3].

الأدب النفسي والفلسفي أيضا يعرض الآخر بطريقة تكشف عن التوترات الداخلية للشخصيات، حيث يستخدم كعامل مضاد للذات لتفكيك الهويات الفردية واستكشاف الصراعات الأخلاقية والوجودية في هذا السياق، لا يمثل الآخر مجرد شخصية خارجية، بل يصبح أداة لفهم الذات، ومرجعا لمعرفة كيفية تعامل

---

[1] وهبة، مراد، المعجم الفلسفي: معجم المصطلحات الفلسفية، ط4، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1998، ص415.

[2] بدر يوسف، شوقي، الرواية والروائيون: دراسات في الرواية المصرية، ط1، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، 2006، ص21.

[3] البازعي، سعد، شرفات للرؤية: العولمة والهوية والتفاعل الثقافي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب؛ بيروت، لبنان، 2005، ص84.

الإنسان مع القيم والمبادئ، وكيف يواجه الاختلاف والتمرد على المألوف[1] ويظهر ذلك في الروايات التي تتناول القضايا النفسية والاجتماعية، حيث يسهم الآخر في بناء الحوار الداخلي، ويثير التساؤلات حول العدالة، الحرية، والانتماء، ويمنح النص بعدا فلسفيا يثري التجربة الأدبية ويعمق فهم القارئ للتنوع البشري[2].

بالإضافة إلى ذلك، يتجلى حضور الآخر في البعد الرمزي والأسطوري للأدب، حيث يمكن أن يمثل قوى الطبيعة، الموت، المصير، أو الغياب والحنين وفي هذه الحالات، يصبح الآخر ليس مجرد كائن أو شخصية، بل رمزا يفتح آفاقا لتأملات إنسانية وفلسفية، ويتيح للكاتب التعبير عن الصراعات الداخلية بطرق تتجاوز الواقع المادي فالرمزية تمنح النص القدرة على نقل المعاني المركبة والمعقدة، وتقديم تجارب متخيلة تعكس الخيال الإنساني والتصورات الثقافية المختلفة حول المغاير والغريب وفي الشعر أيضا، يمكن للآخر أن يمثل الحب، الفقد، الغربة، أو حتى التوتر النفسي، مما يجعل التجربة الأدبية أكثر عمقا وإيحاء[3].

إن حضور الآخر في الأدب المعاصر بات يعكس التطورات الاجتماعية والسياسية والثقافية العالمية، حيث يتم تقديم اللاجئين والمهاجرين والمهمشين كمحور للقصص، لتسليط الضوء على الصراعات الجديدة التي يواجهونها والأدب هنا لا يكتفي بتصوير الآخر كموضوع سردي، بل يصبح وسيلة لتحليل التغيرات في المجتمعات المعاصرة وفهم تأثير العولمة، الهجرة، وتعدد الثقافات على الهوية الإنسانية. هذا الحضور المتنوع والمعقد يعكس التحديات التي تواجه التعايش بين الذوات المختلفة، ويعزز من فهم التعددية والتنوع الثقافي[4].

---

[1] مهيدات، نهال، الآخر في الرواية النسوية العربية: في خطاب المرأة والجسد والثقافة، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2008، ص132.

[2] شرشار، عبد القادر، بناء الآخر في أدبيات الصراع العربي الصهيوني، مجلة الموقف الأدبي، ع370، دمشق، فبراير 2002، ص63.

[3] بكار، يوسف وخليل الشيخ، الأدب المقارن، (د.ط)، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، مصر، 2008، ص71.

[4] زايد، عبد الصمد، المكان في الرواية العربية: الصورة والدلالة، (د.ط)، دار محمد علي للنشر، صفاقس، تونس، (د.ت)، ص54.

على صعيد آخر، يمكن القول إن حضور الآخر في الأدب يتيح أيضًا مساحة للكاتب والمبدع لاستكشاف ذاته، فكل مواجهة مع الغير تمنح الشخصيات فرصة للتأمل والتقييم الذاتي، وتكشف عن القيم والمبادئ الأساسية التي تقوم عليها هويته. فالأدب بهذا المعنى يصبح أداة تربوية وثقافية، تساعد على بناء وعي اجتماعي وفهم عميق للتفاعلات بين الأفراد والجماعات، وتعزز القدرة على التعاطف مع المختلفين والمهمشين. ومن خلال تصوير الآخر، يتمكن الأدب من نقل الرسائل الإنسانية بطريقة عميقة وثرية، تجذب القارئ إلى عالم التجربة الإنسانية بكل تنوعها وتعقيداتها[1].

وبذلك، يصبح حضور الآخر في الأدب أكثر من مجرد تمثيل للشخصيات المختلفة، فهو يعكس البنية الثقافية والاجتماعية للنص، ويكشف عن التفاعلات بين الذات والغير، بين الفرد والمجتمع، وبين الهويّة المحلية والعالمية والأدب هنا هو مرآة تعكس الواقع والتاريخ والخيال في آن واحد، وتتيح للقارئ فهمًا متكاملًا للتنوع البشري والتباين الثقافي.

إن تحليل حضور الآخر في الأدب يكشف عن غنى النصوص وقدرتها على التعبير عن المشاعر الإنسانية والصراعات الفكرية والاجتماعية، ويؤكد على الدور المركزي للآخر في بناء المعنى الأدبي والثقافي[2].

[1] كاظم، نجم عبد الله، الرواية العربية المعاصرة والآخر: دراسات أدبية مقارنة، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2007، ص130.

[2] ريكور، بول، الذات عينها كآخر، تقديم وتعليق: جورج زيناتي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2005، ص21.

علاقة صورة الآخر بالهوية الثقافية.

إن علاقة صورة الآخر بالهوية الثقافية تعد من أبرز القضايا التي يدرسها الأدب والنقد الثقافي، إذ إن تصور الغير أو المختلف في النصوص الأدبية ليس مجرد تمثيل لحقيقة خارجية، بل هو انعكاس للذات وهويتها، وللإطار الاجتماعي والثقافي الذي تنتج فيه هذه النصوص، فصورة الآخر تشكل مرآة تتعرف الذات من خلالها على حدودها وقيمها ومعتقداتها، وتحدد بذلك ملامح هويتها الثقافية وفي هذا السياق، يظهر الأدب كمساحة تفاعلية تجمع بين الذات والغير، حيث يتيح للكاتب والقراء فرصة لفهم الاختلافات والتقاطعات بين الثقافات، ومواجهة الصور النمطية والتحيزات الموروثة[1].

يؤكد النقاد أن الطريقة التي يصور بها الآخر في الأدب تنعكس مباشرة على كيفية تكوين الهوية الثقافية للمجتمع، فحين يقدم الآخر على أنه غريب أو مهدد، تعكس النصوص الأدبية خوف الذات من الاختلاف، وتسعى إلى ترسيخ هويتها من خلال التمييز بين ما هو مألوف وما هو مغاير، أما عندما يصور الآخر بوصفه متنوعا، معقدا، أو متمردا على القوالب المألوفة، فإن النص الأدبي يسهم في توسيع أفق الهوية الثقافية، ويتيح إدراكا أعمق للثراء والتنوع الثقافي ومن هنا تتضح العلاقة الجدلية بين صورة الآخر وبناء الهوية، إذ إن كل تصور للآخر يعكس بقدر كبير قيم الذات ومعتقداتها، ويؤثر على كيفية فهم المجتمع لهويته الخاصة[2].

تتجلى هذه العلاقة بشكل واضح في الأدب العربي ما بعد الاستعمار، حيث غالبا ما يصور الآخر الغربي بوصفه قوة مهيمنة ثقافيا وسياسيا، وهو ما دفع الكتاب إلى إعادة تعريف هويتهم الثقافية من خلال مواجهة هذه الصورة المفروضة وفي الوقت ذاته، يمكن أن يستخدم تصوير الآخر المحلي أو الداخلي لتعزيز الروابط الثقافية وإبراز خصوصية المجتمع المحلي، فتظهر الهوية الثقافية في أدق تفاصيلها من خلال

[1] غيث، محمد عاطف، قاموس علم الاجتماع، ط1، المعرفة الجامعية، (د.م)، (د.ب)، ص. 52.

[2] إسكاريه، روبيرت، سوسيولوجية العرب، ط3، عويسات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، 1999، ص. 59.

مواجهة الغير أو التفاعل معه، ويصبح الأدب في هذه الحالة أداة لإعادة التوازن الثقافي والتأكيد على القيم والتقاليد التي تشكل أساس الهوية الجماعية[1].

كما أن صورة الآخر تؤثر في الهوية الثقافية على المستوى النفسي والفردي، إذ يتيح التفاعل مع الآخر للشخصيات الأدبية، وبالتالي للقارئ، فرصة لإعادة تقييم الذات وفهم موقعه في العالم الثقافي والاجتماعي، فالتباين بين الذات والآخر يخلق فضاءات للتفكير النقدي، ويحفز على التساؤل حول القيم والممارسات الثقافية ومن خلال هذا التفاعل، يمكن للهوية الثقافية أن تتطور، بحيث تشمل فهما للتعددية والاختلاف، وتتحول من مجرد إطار ثابت إلى فضاء ديناميكي قادر على الحوار والتكيف مع الجديد والمغاير[2].

بالإضافة إلى ذلك، يظهر الأدب أن صورة الآخر ليست ثابتة، بل هي انعكاس لتطورات المجتمع والتاريخ، وللتغيرات في العلاقات الثقافية والسياسية، فكل مرة يعاد فيها إنتاج صورة الآخر في النصوص الأدبية[3]، تتغير معها مفاهيم الهوية الثقافية، سواء كان ذلك على مستوى الفرد أو الجماعة ومن هذا المنطلق، يمكن القول إن العلاقة بين صورة الآخر والهوية الثقافية هي علاقة ديناميكية ومتبادلة، فكلما تعمق فهم الآخر، أصبح بالإمكان تطوير فهم الذات وهويتها، بما يتيح توازنا بين الانتماء والاعتراف بالاختلاف، وبين المحافظة على الجذور والانفتاح على الثقافات الأخرى[4].

إن دراسة حضور الآخر في الأدب وفهم صورته بالنسبة للذات يعكس الدور الحيوي للأدب في تشكيل الوعي الثقافي، فالنص الأدبي ليس مجرد سرد للأحداث والشخصيات، بل هو مساحة لإعادة إنتاج

---

[1] بوجيلدة، عمر، فكر الهجنة والوعي بالآخر: السرديات العنصرية والمثقف المقاوم، ضمن: دوارد سعيد: الهجنة والسرد والفضاء الإمبراطوري، دار ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر؛ دار واقد الثقافية ناشرون، بيروت، لبنان، 2013، ص. 65.

[2] حمداوي، جميل، الأدب المقارن وفق نظرية الأنساق المتعددة، ط1، دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني، المغرب، 2020، ص. 190.

[3] دارج، فيصل، الرواية العربية، مجلة المستقبل العربي، العدد 379، بيروت، لبنان، سبتمبر 2010، ص. 2013.

[4] الداوي، عبد الرزاق، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1992، ص. 96.

الهوية الثقافية بشكل مستمر، ولإعادة النظر في المعايير والمفاهيم الثقافية السائدة ومن خلال هذا التحليل، يصبح الأدب وسيلة لفهم التفاعل بين الذات والغير، بين التقليد والمعاصرة، وبين القيم المحلية والانفتاح العالمي، مما يعكس بوضوح كيف تؤثر صورة الآخر في تكوين الهوية الثقافية وتجعلها أكثر وعيا وتعقيدا وثراء[1].

[1] ليتش، إدموند، وليفي ستراوس، كلود، (ترجمة: ثائر ديب)، ط2، دار الغرقد، دمشق، سوريا، 2010، ص. 57.

خاتمة الفصل

تبرز الدراسة المفاهيمية لصورة الآخر في الأدب أهمية هذا المفهوم في فهم التفاعلات الثقافية والرمزية داخل النصوص، كما تكشف الصورائية عن الكيفيات التي تتشكل بها الصور الذهنية التي تتحدد من خلالها نظرة الذات إلى الغير، ويسهم هذا المدخل في تحليل الأبعاد الخفية التي تتحكم في تمثيل الآخر داخل العمل الأدبي، ويمنح إطارا نظريا يساعد على تفكيك الخطابات المرتبطة بالهوية والاختلاف.

ويؤكد هذا الإطار المفاهيمي أن صورة الآخر لا تمثل انعكاسا مباشرا للواقع، بل تعد بناء أدبيا وثقافيا يتأثر بسياقات تاريخية واجتماعية متعددة، كما تظهر العلاقة بين الذات والآخر بطابع من التعقيد والتداخل، خاصة في الأدب الذي نشأ في ظل التجارب الاستعمارية، ويتيح هذا التصور فهما أعمق للنصوص المدروسة من خلال ربطها بأبعادها الثقافية والرمزية، ويمهد بذلك للانتقال إلى التحليل التطبيقي للنصوص الروائية محل الدراسة.

الفصل الثاني: صورة الآخر
في روايتي نجمة والغريب
(دراسة مقارنة)

تمهيد:

تشكل الدراسة التطبيقية مرحلة أساسية في البحث الأدبي لأنها تسمح بالانتقال من الجانب النظري إلى تحليل النصوص والكشف عن تجليات المفاهيم داخل المتن الروائي وتزداد أهمية هذا النوع من الدراسات عند معالجة موضوع صورة الآخر باعتباره من القضايا المرتبطة بالسياق الثقافي والتاريخي الذي أنتج النص، كما أن الرواية الجزائرية والرواية الفرنسية تقدمان أنماطا مختلفة في بناء العلاقة بين الذات والآخر نتيجة اختلاف المرجعيات الفكرية والظروف التاريخية ومن هذا المنطلق يكتسب هذا الفصل بعدا تحليليا يقوم على المقارنة بين رؤيتين روائيتين تنتميان إلى فضاء واحد وتختلفان في زاوية التمثيل.

وفي هذا الفصل يتم التركيز على تحليل صورة الآخر في روايتي نجمة والغريب من خلال الوقوف على الأبعاد التي شكلت حضور الآخر داخل العملين الروائيين حيث يتم في البداية دراسة صورة الآخر في رواية نجمة عبر الكشف عن تمثلات الآخر الاستعماري ثم إبراز حضور الآخر الثقافي والاجتماعي داخل الرواية، ثم الانتقال إلى رواية الغريب من خلال تحليل صورة العربي داخل النص ودراسة تمثيل الآخر في السياق الاستعماري بما يسمح بإبراز أوجه التقاطع والاختلاف بين الروايتين في بناء صورة الآخر.

المبحث الأول: صورة الآخر في رواية نجمة

تعد رواية نجمة من الأعمال الروائية التي قدمت تصورا عميقا للعلاقة بين الذات الجزائرية والآخر داخل واقع اتسم بالتوترات السياسية والثقافية والاجتماعية التي فرضها الاستعمار وقد جاءت بنيتها السردية محملة بدلالات تتجاوز الأحداث المباشرة لتكشف عن أزمة الهوية وتداخل الانتماءات داخل المجتمع الجزائري، كما أن حضور الآخر داخل الرواية لا يقتصر على البعد السياسي فقط بل يمتد إلى أبعاد ثقافية واجتماعية متعددة تكشف تعقد العلاقات الإنسانية داخل النص.

وانطلاقا من ذلك يتم في هذا المبحث الوقوف على صورة الآخر الاستعماري كما تشكلت داخل الرواية، ثم إبراز تجليات الآخر الثقافي والاجتماعي ودوره في بناء الرؤية السردية وفي تشكيل العلاقة بين الشخصيات والفضاء الروائي.

الآخر الاستعماري.

تعد رواية نجمة للكاتب كاتب ياسين من أهم الروايات الجزائرية التي تناولت قضية الاستعمار وآثاره العميقة على المجتمع الجزائري، حيث لم يقتصر حضور الآخر الاستعماري فيها على كونه قوة سياسية محتلة فقط، بل ظهر باعتباره منظومة كاملة فرضت سيطرتها على الأرض واللغة والثقافة والإنسان وقد استطاع الكاتب أن يقدم صورة معقدة لهذا الآخر من خلال شخصيات تعيش التمزق والضياع والاغتراب داخل واقع استعماري قاس، فبدت الرواية وكأنها تعبير عن مأساة جماعية عاشها الشعب الجزائري خلال فترة الاحتلال الفرنسي[1].

لقد ظهر الآخر الاستعماري في الرواية بوصفه قوة مسؤولة عن خلق الفوضى الاجتماعية وتحويل المجتمع الجزائري إلى فضاء مليء بالتناقضات والأزمات ويتجلى ذلك في وصف المدينة التي تعيش حالة

[1] كاتب ياسين، نجمة، ترجمة ملكة أبيض العيسى (بيروت: كتاب في جريدة، 2009)، ص5.

اضطراب نتيجة الفقر والبطالة وانتشار العمال والنازحين والجنود المسرحين، حيث يقول السارد إن المدينة أصبحت مكتظة بفئات مختلفة من الناس الذين دفعتهم الظروف الاستعمارية إلى الهجرة والتشرد والبحث عن العمل وهذا الوصف لا يعكس فقط وضعا اجتماعيا متدهورا، بل يكشف أيضا حجم الاختلالات التي أحدثها الاستعمار داخل البنية الاجتماعية الجزائرية.

كما تتجسد صورة الآخر الاستعماري في سيطرته غير المباشرة على حياة الشخصيات، إذ تعيش أغلب الشخصيات حالة من القلق والانهيار النفسي نتيجة واقع مفروض عليها بالقوة فالشخصيات الرئيسية مثل رشيد ومصطفى ومراد والأخضر تبدو عاجزة عن تحقيق الاستقرار، وتتحرك داخل فضاء تغلب عليه السجون والمنفى والعمل الشاق والضياع، وهو ما يعكس تأثير الاستعمار على الفرد الجزائري الذي فقد الإحساس بالأمان والانتماء وقد أشار تقديم الرواية إلى أن أبطال الرواية ينتهون إلى مصائر مأساوية تتمثل في السجن أو الضياع أو النفي، وهي كلها نتائج ترتبط بالسياق الاستعماري الذي حطم الإنسان الجزائري نفسيا واجتماعيا[1].

ومن الجوانب المهمة في صورة الآخر الاستعماري داخل الرواية مسألة الهوية، إذ يظهر الجزائري في حالة بحث دائم عن ذاته داخل مجتمع ممزق بين الانتماء الوطني والتأثيرات التي فرضها الاستعمار. فالرواية تكشف أن الاستعمار لم يكن مجرد احتلال عسكري، بل كان محاولة لإعادة تشكيل الشخصية الجزائرية وطمس ملامحها الثقافية والحضارية ولذلك تبدو الشخصيات في حالة اضطراب دائم، غير قادرة على تحديد موقعها الحقيقي داخل المجتمع وقد أشار النص التمهيدي للرواية إلى أن كاتب ياسين قدم الجزائر باعتبارها فضاء معقدا ومتناقضا، يجمع بين عناصر متعددة دينية وثقافية ولغوية، وهو ما يعكس عمق الأزمة التي خلفها الاستعمار داخل الهوية الجزائرية.

[1] كاتب ياسين، نجمة،ص 3.

ويبرز الآخر الاستعماري كذلك من خلال قضية اللغة، حيث كتب كاتب ياسين روايته باللغة الفرنسية، وهي لغة المستعمر، لكنه حولها إلى وسيلة للمقاومة والتعبير عن معاناة الجزائريين فاللغة الفرنسية داخل الرواية لم تظهر كلغة حيادية، بل بدت شاهدا على الصراع الحضاري والثقافي بين المستعمِر والمستعمَر وقد حاول الكاتب من خلال توظيفه للغة الفرنسية الممزوجة بالتعابير الشعبية والروح الجزائرية أن يثبت قدرة الجزائري على تحويل أدوات المستعمر إلى وسيلة لفضح ممارساته وكشف تناقضاته ولهذا اعتبرت الرواية عملا أدبيا مقاوما استطاع أن يوظف لغة الآخر من أجل الدفاع عن الذات الجزائرية إضافة إلى ذلك، يظهر الآخر الاستعماري في الرواية باعتباره سببا في تفكيك العلاقات الاجتماعية والإنسانية فالشخصيات تبدو مفككة ومتباعدة، والعلاقات بينها يغلب عليها التوتر والشك والاضطراب وهذا راجع إلى الواقع الاستعماري الذي خلق جوا من الخوف وفقدان الثقة، حيث أصبح الإنسان الجزائري يعيش حالة اغتراب حتى داخل وطنه، كما أن الرواية تكشف كيف أدى الاستعمار إلى انهيار القيم التقليدية وتراجع الاستقرار الأسري والاجتماعي، الأمر الذي جعل الشخصيات تعيش حياة مليئة بالتناقضات والصراعات الداخلية[1].

ومن أبرز الشخصيات التي تكشف آثار الآخر الاستعماري شخصية رشيد، إذ يظهر كشخصية قلقة ومضطربة نفسيا، تعاني من الانهيار والتوتر المستمر فقد كان كثير التدخين والسهر ويعيش حالة من القلق الدائم، كما تعرض لنوبات حمى وهلوسة جعلته يعيش حالة من الاضطراب النفسي الحاد وهذه الحالة النفسية ليست معزولة عن الواقع الاستعماري، بل تعبر عن تأثير العنف الاستعماري على وعي الإنسان الجزائري وذاكرته وشعوره بالاستقرار.

[1] كاتب ياسين، نجمة،ص 3.

كما أن الآخر الاستعماري يظهر في الرواية من خلال حضور العنف والقوة داخل الحياة اليومية، فالشخصيات تتحرك داخل عالم يسيطر عليه الخوف والتهميش والحرمان ولم يكن الاستعمار في الرواية قوة ظاهرة فقط، بل تحول إلى سلطة خفية تتحكم في مصير الأفراد وتفرض عليهم العيش في ظروف قاسية ولذلك جاءت الرواية مليئة بصور الضياع والتشرد والانكسار، وكأن الكاتب يريد التأكيد أن الاستعمار لم يدمر الأرض فقط، بل دمر الإنسان أيضا ويمكن القول إن كاتب ياسين نجح في تقديم صورة عميقة ومعقدة للآخر الاستعماري، حيث لم يختزله في صورة العدو التقليدي، بل كشف آثاره النفسية والثقافية والاجتماعية داخل المجتمع الجزائري وقد جعل من الرواية فضاء لكشف معاناة الإنسان الجزائري الذي وجد نفسه ممزقا بين الرغبة في التحرر وبين واقع استعماري قاس فرض عليه الضياع والاغتراب ولهذا تعد رواية "نجمة" من أهم الروايات التي استطاعت تصوير مأساة الاستعمار وآثاره العميقة على الهوية الجزائرية والوعي الجماعي[1].

الآخر الثقافي والاجتماعي في الرواية.

لم تقتصر صورة الآخر في رواية نجمة على الجانب الاستعماري والسياسي فقط، بل امتدت لتشمل أبعادا ثقافية واجتماعية عميقة، حيث قدم الكاتب كاتب ياسين مجتمعا جزائريا يعيش حالة من التداخل الحضاري والتنوع الاجتماعي الناتج عن تأثيرات الاستعمار والتحولات التاريخية وقد ظهر الآخر الثقافي والاجتماعي داخل الرواية بوصفه عنصرا فاعلا في تشكيل وعي الشخصيات وبناء العلاقات الإنسانية داخل النص، الأمر الذي جعل الرواية تعكس صورة مجتمع متشابك الهويات والانتماءات[2].

يتجلى الآخر الثقافي في الرواية من خلال التعدد اللغوي والثقافي الذي يميز المجتمع الجزائري خلال فترة الاستعمار، إذ تظهر الفرنسية إلى جانب العربية والتعابير الشعبية داخل الخطاب الروائي، وهو

[1] كاتب ياسين، نجمة،ص 3.

[2] كاتب ياسين، نجمة، ترجمة ملكة أبيض العيسى (بيروت: كتاب في جريدة، 2009)، ص3.

ما يعكس حالة التداخل الثقافي التي فرضها الواقع الاستعماري. فاللغة في الرواية ليست مجرد وسيلة للتواصل، بل تعبير عن صراع ثقافي وحضاري بين ثقافتين مختلفتين: الثقافة الجزائرية الأصيلة والثقافة الفرنسية الوافدة وقد أشار التقديم النقدي للرواية إلى أن "نجمة" كتبت بلغة تمزج بين الفرنسية العالية واللغة الشعبية، بما يجعل النص فضاء تتداخل فيه مستويات ثقافية متعددة.

كما يظهر الآخر الثقافي من خلال اختلاف أنماط العيش والتفكير بين الشخصيات، حيث تعيش الشخصيات داخل بيئة اجتماعية متغيرة تجمع بين القيم التقليدية والتأثيرات الحديثة القادمة من الثقافة الغربية. فبعض الشخصيات تحاول التمسك بالهوية المحلية والعادات الجزائرية، بينما تنجذب شخصيات أخرى إلى أنماط الحياة الجديدة التي فرضها الاحتكاك بالمستعمر وهذا التناقض يعكس حالة الصراع الداخلي التي يعيشها المجتمع الجزائري بين المحافظة على الأصالة والانفتاح على ثقافة الآخر.

وتبرز صورة الآخر الاجتماعي بشكل واضح من خلال وصف المدينة التي تضم فئات اجتماعية متعددة ومتناقضة، فقد أشار السارد إلى أن المدينة أصبحت فضاء يختلط فيه العمال والفلاحون والجنود والنازحون وأشخاص من طبقات مختلفة، مما يعكس التحولات الاجتماعية التي عرفها المجتمع الجزائري آنذاك وهذا التنوع الاجتماعي أدى إلى خلق علاقات إنسانية معقدة يسودها أحيانا التضامن وأحيانا أخرى التوتر والصراع ويظهر الآخر الاجتماعي أيضا في اختلاف الشخصيات من حيث الطبقة الاجتماعية وطريقة العيش والمظهر الخارجي فشخصية "سي مختار" مثلا تبدو مختلفة عن بقية الشخصيات من خلال لباسه وطريقة حديثه وهيئته، الأمر الذي جعله يثير فضول الناس داخل المدينة وقد ركز السارد على تفاصيل مظهره الخارجي وسلوكه ليؤكد وجود اختلاف اجتماعي وثقافي بينه وبين المحيط الذي يعيش فيه.

ويكشف هذا الوصف عن اهتمام الرواية بإبراز الفوارق الاجتماعية داخل المجتمع الجزائري وتأثيرها على العلاقات الإنسانية[1].

ومن الجوانب المهمة في صورة الآخر الاجتماعي حضور المرأة داخل الرواية، خاصة شخصية "نجمة" التي تمثل رمزا معقدا للجزائر والهوية والأنوثة فنجمة ليست مجرد شخصية عادية، بل تحولت إلى مركز تدور حوله الشخصيات والأحداث، حيث يراها كل واحد بطريقة مختلفة تعكس نظرته الخاصة للعالم وللذات وللآخر وقد وصفها النص بأنها شخصية غامضة وجذابة يصعب امتلاكها أو فهمها بشكل كامل، مما جعلها رمزا للجزائر نفسها بما تحمله من تعقيد وتعدد[2].

كما تكشف الرواية عن وجود آخر اجتماعي يتمثل في الفئات المهمشة والفقيرة التي تعيش ظروفا صعبة داخل المدينة فالعمال والعاطلون والنازحون يظهرون باعتبارهم ضحايا للتحولات الاقتصادية والاجتماعية التي فرضها الاستعمار وقد وصف الكاتب الميناء باعتباره فضاء للبحث عن العمل والنجاة، حيث كان الناس يتوافدون إليه أملا في الحصول على فرصة للعيش وهذا الوصف يعكس حجم المعاناة الاجتماعية التي يعيشها الجزائري داخل مجتمع غير مستقر إضافة إلى ذلك، فإن العلاقات بين الشخصيات تكشف حضورا واضحا للآخر الاجتماعي داخل الرواية، إذ تبدو العلاقات الإنسانية مبنية على الحذر والتوتر وعدم الثقة أحيانا فالشخصيات تتحرك داخل مجتمع فقد توازنه بسبب التحولات السياسية والاجتماعية، ولذلك تظهر العلاقات بينها متذبذبة وغير مستقرة، كما أن الشخصيات كثيرا ما تشعر بالعزلة والاغتراب رغم وجودها وسط الجماعة، وهو ما يعكس أزمة اجتماعية عميقة يعيشها المجتمع الجزائري ويبرز الآخر الثقافي أيضا من خلال استحضار الكاتب للتراث الشعبي والعادات المحلية داخل الرواية، حيث يوظف صورا ورموزا مستمدة من البيئة الجزائرية ليؤكد خصوصية الهوية الوطنية في مواجهة الثقافة الأجنبية

[1] كاتب ياسين، نجمة، ص5.

[2] كاتب ياسين، نجمة، ص5.

فالرواية تجمع بين الحداثة والتقاليد، وبين اللغة الأدبية واللغة الشعبية، مما يمنحها بعدا ثقافيا متنوعا يعكس واقع المجتمع الجزائري في تلك المرحلة.

ومن خلال ذلك كله، يتضح أن كاتب ياسين استطاع أن يقدم صورة غنية ومعقدة للآخر الثقافي والاجتماعي داخل الرواية، حيث كشف طبيعة المجتمع الجزائري الذي يعيش حالة تداخل بين ثقافات متعددة وطبقات اجتماعية مختلفة، كما أبرز تأثير هذه التحولات على الشخصيات وعلاقاتها ورؤيتها للعالم، فجاءت الرواية تصويرا عميقا لأزمة الهوية والانتماء داخل مجتمع خضع للاستعمار وعاش تحولات اجتماعية وثقافية كبيرة[1].

تجليات الهوية وعلاقتها بصورة الآخر في الرواية.

تحتل قضية الهوية مكانة مركزية داخل رواية نجمة، إذ تبدو الرواية منذ بدايتها مشغولة بسؤال الذات الجزائرية في علاقتها بالآخر الاستعماري والثقافي والاجتماعي. فالكاتب كاتب ياسين لم يتعامل مع الهوية باعتبارها معطى جاهزا أو مفهوما ثابتا، بل قدمها في صورة كيان متحرك يعيش حالة من القلق والتشظي نتيجة التحولات التاريخية التي عرفها المجتمع الجزائري خلال فترة الاستعمار الفرنسي ولهذا جاءت الرواية فضاء سرديا تتصارع داخله الانتماءات والمرجعيات، حيث تحاول الشخصيات باستمرار البحث عن ذاتها داخل واقع فقد توازنه، وأصبح الإنسان فيه مهددا بالضياع والاستلاب[2].

وتتجلى الهوية في الرواية من خلال الإحساس العميق بالانتماء إلى الأرض والتاريخ، إذ ترتبط الشخصيات بذاكرة جماعية مثقلة بالألم والمعاناة، وهو ما يجعل الهوية مرتبطة بالماضي الوطني أكثر من ارتباطها بالفرد وحده فالجزائر داخل الرواية ليست مجرد فضاء جغرافي تدور فيه الأحداث، وإنما تتحول إلى رمز حضاري وإنساني يحمل تاريخا طويلا من المقاومة والصراع ولذلك يحرص الكاتب على استحضار

[1] كاتب ياسين، نجمة، ص5.

[2] كاتب ياسين، *نجمة*، ترجمة ملكة أبيض العيسى (بيروت: كتاب في جريدة، 2009)، ص3 .

البعد التاريخي داخل النص ليؤكد أن الهوية الجزائرية تشكلت عبر تراكمات حضارية وثقافية متعددة، وأنها رغم ما تعرضت له من تشويه واستلاب بقيت محتفظة بجوهرها العميق وقد أشار التقديم النقدي للرواية إلى أن الجزائر التي يقدمها كاتب ياسين هي "جزائر متعددة ومعقدة ومتناقضة"، وهو وصف يعكس طبيعة الهوية الجزائرية التي تكونت من تداخل عناصر ثقافية ولغوية واجتماعية مختلفة .

غير أن هذه الهوية لا تظهر في الرواية بصورة مستقرة، بل تبدو في حالة صراع دائم مع الآخر الاستعماري الذي حاول فرض هيمنته على الإنسان الجزائري ومحو خصوصيته الثقافية والحضارية. فالاستعمار في الرواية لم يكن مجرد احتلال عسكري للأرض، بل كان مشروعا لطمس الذات الجزائرية وإعادة تشكيلها وفق رؤية المستعمر ولهذا تعيش الشخصيات حالة اغتراب نفسي وثقافي تجعلها عاجزة عن تحقيق التوازن بين ماضيها وحاضرها، وبين انتمائها الوطني والواقع الذي فرضه الاستعمار فالشخصية الجزائرية داخل الرواية تبدو وكأنها فقدت يقينها القديم، وأصبحت تتحرك داخل عالم مرتبك لا يمنحها الشعور بالأمان أو الاستقرار[1].

ومن أبرز مظاهر أزمة الهوية في الرواية ذلك التمزق الداخلي الذي تعانيه الشخصيات الرئيسية، خاصة رشيد ومصطفى والأخضر ومراد، حيث تبدو هذه الشخصيات عاجزة عن تحديد موقعها الحقيقي داخل المجتمع. فهي شخصيات قلقة ومضطربة، تعيش حالة من الضياع النفسي والوجودي، وكأنها تبحث باستمرار عن معنى لوجودها داخل واقع استعماري خانق وقد انعكس هذا التمزق في سلوك الشخصيات وعلاقاتها الإنسانية المضطربة، إذ يغلب على حياتها الشعور بالقلق والخوف وفقدان الاستقرار. ويظهر ذلك بوضوح في شخصية رشيد التي تعاني من انهيار نفسي وتوتر دائم، حيث يصوره السارد كثير التدخين

[1] كاتب ياسين، *نجمة*، ص3.

والسهر، يعيش نوبات من الحمى والهذيان والقلق الحاد وهذه الحالة النفسية لا يمكن فصلها عن السياق الاستعماري الذي حوّل الإنسان الجزائري إلى كائن ممزق فاقد للطمأنينة.

كما تتجلى الهوية داخل الرواية من خلال شخصية "نجمة" التي تتحول إلى رمز مركزي للجزائر ذاتها فنجمة ليست مجرد امرأة تدور حولها الشخصيات، بل تمثل الوطن بكل ما يحمله من تعقيد وغموض وجاذبية ولهذا تبدو الشخصيات مفتونة بها وعاجزة في الوقت نفسه عن امتلاكها أو فهمها بشكل كامل، تماما كما هو حال الجزائر التي أصبحت موضع صراع وتنازع. وقد وصف الكاتب نجمة بوصف دقيق يكشف جمالها وقوتها وغموضها، مما جعلها تتجاوز حدود الشخصية الواقعية لتصبح رمزا للهوية الجزائرية المجروحة والمستلبة فكل شخصية ترى نجمة من زاوية مختلفة، وهو ما يعكس اختلاف الرؤى تجاه الوطن والانتماء والذات وهكذا تتحول نجمة إلى صورة رمزية للجزائر التي بقيت عصية على الاحتواء رغم محاولات السيطرة عليها[1].

ومن الجوانب المهمة في تجليات الهوية داخل الرواية قضية اللغة، إذ تشكل اللغة الفرنسية حضورا بارزا داخل النص باعتبارها لغة المستعمر، غير أن الكاتب استطاع أن يحولها إلى أداة للمقاومة والدفاع عن الهوية الجزائرية فكاتب ياسين كتب روايته بالفرنسية، لكنه حمّل هذه اللغة روحا جزائرية واضحة من خلال توظيف التعابير الشعبية والصور المستمدة من البيئة المحلية وهذا يعكس مفارقة عميقة تتمثل في استعمال لغة الآخر للتعبير عن معاناة الذات والدفاع عنها. فاللغة هنا تتحول إلى فضاء للصراع الثقافي والحضاري، حيث تحاول الذات الجزائرية إثبات وجودها داخل لغة فرضها الاستعمار وقد أشار التقديم النقدي للرواية إلى أن النص يجمع بين اللغة الفرنسية الراقية والروح الشعبية الجزائرية، وهو ما يعكس حالة التداخل الثقافي التي فرضها الواقع الاستعماري .

[1] كاتب ياسين، *نجمة*، ص6 .

كما ترتبط الهوية في الرواية بالذاكرة الجماعية التي يستحضرها الكاتب باستمرار من خلال الحديث عن الماضي والتاريخ والمعاناة المشتركة فالذاكرة داخل الرواية ليست مجرد استرجاع للأحداث، بل وسيلة للحفاظ على الانتماء الوطني ومقاومة النسيان ولهذا تبدو الشخصيات مرتبطة بماض جماعي مليء بالألم، وكأنها تحمل داخلها ذاكرة شعب كامل تعرض للقهر والاستلاب فالهوية هنا تتشكل من خلال الوعي بالتاريخ، ومن خلال الإحساس المشترك بالمأساة الوطنية التي خلفها الاستعمار.

وتبرز علاقة الهوية بصورة الآخر من خلال الصراع الحضاري الذي تعكسه الرواية بين الثقافة الجزائرية والثقافة الفرنسية فالآخر الاستعماري يظهر بوصفه قوة تحاول فرض نموذجها الثقافي والاجتماعي على المجتمع الجزائري، بينما تحاول الذات الجزائرية الدفاع عن خصوصيتها رغم حالة الضعف والتفكك التي تعيشها ولذلك جاءت الرواية مليئة بصور التناقض بين عالمين مختلفين: عالم محلي مرتبط بالعادات والذاكرة واللغة الشعبية، وعالم استعماري يحمل قيما غريبة عن البيئة الجزائرية وهذا الصراع جعل الهوية الجزائرية تعيش حالة من التردد بين الرفض والتأثر، وبين المقاومة والانجذاب إلى ثقافة الآخر.

ومن الناحية الاجتماعية، تتجلى الهوية أيضا في ارتباط الشخصيات بالفضاء الشعبي الجزائري بما يحمله من عادات وتقاليد وقيم جماعية. فالكاتب يوظف صورا مستمدة من الحياة اليومية الجزائرية ليؤكد عمق الانتماء الشعبي للشخصيات، رغم كل مظاهر التحول والتفكك التي أحدثها الاستعمار، كما أن حضور الميناء والأسواق والأحياء الشعبية داخل الرواية يعكس رغبة الكاتب في تثبيت الهوية المحلية داخل النص السردي، وجعلها في مواجهة دائمة مع حضور الآخر الاستعماري وقد أشار السارد إلى مشاهد العمال والبحارة والناس البسطاء الذين يعيشون داخل فضاءات مضطربة ومليئة بالتناقضات، وهو ما يكشف صورة المجتمع الجزائري الذي أصبح يعيش تحولات اجتماعية وثقافية عميقة. [1].

[1] كاتب ياسين، *نجمة*، ص3.

ولا تتجلى الهوية في الرواية فقط من خلال المقاومة المباشرة للآخر، بل أيضا من خلال الإحساس المستمر بالاغتراب فالشخصيات تبدو غريبة حتى داخل وطنها، وكأنها فقدت القدرة على التواصل الطبيعي مع العالم من حولها وهذا الاغتراب يعكس حجم الأزمة النفسية التي ولدها الاستعمار داخل الذات الجزائرية، حيث أصبح الإنسان يعيش انفصالا بين ما يشعر به داخليا وما يفرضه الواقع الخارجي عليه ولذلك جاءت الرواية مشبعة بمشاعر الحزن والقلق والانكسار، لأن الهوية داخلها ليست هوية مطمئنة، بل هوية مجروحة تبحث عن ذاتها وسط الخراب[1].

ومن خلال ذلك كله، يتضح أن رواية "نجمة" قدمت الهوية باعتبارها قضية وجودية معقدة ترتبط بشكل مباشر بصورة الآخر فالهوية داخل الرواية ليست معطى جاهزا، بل مشروع بحث دائم عن الذات داخل واقع استعماري قاس وقد استطاع كاتب ياسين أن يجعل من الرواية نصا يكشف عمق الأزمة التي عاشها الإنسان الجزائري، سواء على المستوى النفسي أو الثقافي أو الاجتماعي، وفي الوقت نفسه يؤكد قدرة الهوية الجزائرية على الصمود رغم كل محاولات الطمس والاستلاب ولهذا تبقى "نجمة" من أهم الروايات الجزائرية التي نجحت في تصوير العلاقة الجدلية بين الذات والآخر، وبين الهوية والاغتراب، داخل مجتمع عاش واحدة من أعقد التجارب الاستعمارية في التاريخ الحديث.

[1] كاتب ياسين، *نجمة*، ص5

المبحث الثاني: صورة الآخر في رواية الغريب

تمثل رواية الغريب فضاء روائيا تتداخل فيه الأبعاد الفلسفية والاجتماعية والتاريخية بصورة تجعل حضور الآخر عنصرا مهما في بناء المعنى داخل النص وقد ارتبطت الرواية بالسياق الاستعماري الذي عرفته الجزائر مما جعلها موضوعا للعديد من القراءات التي اهتمت بتحليل طبيعة تمثيل الشخصية الجزائرية والعلاقات القائمة داخل المجتمع الاستعماري، كما أن صورة الآخر داخل الرواية ترتبط بطريقة تقديم الشخصيات وبالمنظور الذي يحكم عملية السرد.

وفي ضوء ذلك يركز هذا المبحث على دراسة صورة العربي داخل الرواية وتحليل موقعه في البناء السردي، ثم الوقوف على تمثلات الآخر في السياق الاستعماري وما تكشفه من دلالات مرتبطة بالرؤية الفكرية والثقافية للنص.

صورة العربي في الرواية.

تعد صورة العربي في رواية الغريب من أكثر القضايا التي أثارت اهتمام الدراسات الأدبية الحديثة، خاصة في مجال الدراسات المقارنة ودراسات ما بعد الاستعمار، لأن الرواية لا تقدم العربي باعتباره مجرد شخصية ثانوية داخل البناء السردي، وإنما تجعل حضوره مرتبطا بطريقة إنتاج المعنى داخل النص وتكتسب هذه الصورة أهميتها من كون أحداث الرواية تدور في الجزائر خلال المرحلة الاستعمارية، وهو ما يجعل العلاقة بين الشخصيات تتجاوز بعدها الفردي لتأخذ أبعادا اجتماعية وثقافية وسياسية أوسع.

وعند قراءة الرواية قراءة تطبيقية يلاحظ منذ البداية أن العربي لا يحظى بنفس الحضور الذي تمنحه الرواية للشخصيات الأوروبية فالرواية تقدم الشخصيات المرتبطة بميرسو بأسماء واضحة وصفات فردية دقيقة، مثل الأم وماري وريمون وسلامانو، بينما يظهر العربي غالبا دون اسم أو هوية مستقلة وهذا الاختيار

السردي لا يمكن النظر إليه بوصفه مجرد تقنية شكلية، لأن التسمية داخل العمل الروائي ترتبط بمنح الشخصية وجودا رمزيا داخل العالم السردي[1].

إن غياب الاسم عن العربي يؤدي إلى إضعاف حضوره الفردي وتحويله من شخص يمتلك خصوصية إنسانية إلى نموذج عام غير محدد فالقارئ لا يعرف عمره ولا مهنته ولا خلفيته الاجتماعية ولا تفاصيل حياته، كما لا يمنح فرصة للتعبير عن موقفه أو الكشف عن دوافعه ولذلك فإن وجوده داخل الرواية لا يتحدد انطلاقا من ذاته وإنما من خلال علاقته بالشخصيات الأخرى ويظهر هذا المعطى بوضوح من خلال أول حضور فعلي للعربي داخل الأحداث، حيث لا يقدم بوصف داخلي أو نفسي، بل يظهر باعتباره جزءا من الصراع المرتبط بشخصية ريمون فالعربي يدخل الرواية من خلال منظور خارجي يجعله مرتبطا بوظيفة سردية أكثر من ارتباطه ببناء شخصية مستقلة.

ويكشف هذا الأمر عن آلية مهمة في تشكيل صورة العربي داخل الرواية، وهي أن الشخصية العربية لا تمتلك سلطة إنتاج الخطاب داخل النص فالأحداث لا تقدم من وجهة نظرها، ولا تمنح لها مساحة للحوار أو التأمل أو التعبير، وإنما تبقى محكومة بزاوية رؤية السارد ومن أبرز المشاهد التي تكشف طبيعة هذه الصورة مشهد الشاطئ، الذي يمثل نقطة التحول الأساسية في الرواية ففي هذا المشهد لا يتم بناء المواجهة بين ميرسو والعربي على أساس اختلاف فكري أو اجتماعي واضح، بل ترتبط بصورة كبيرة بالعوامل الحسية التي يصفها السارد مثل الحرارة والضوء والتعب الجسدي وهنا يلاحظ أن تركيز السرد لا ينصب على العربي كشخص، وإنما على التجربة الذاتية لميرسو وتزداد هذه الدلالة وضوحا في اللحظة التي يقع فيها القتل؛ إذ لا تتحول الرواية إلى تتبع مصير العربي أو الكشف عن أثر موته، بل تستمر في التركيز على وعي

[1] كامو، ألبير. الغريب. ترجمة محمد آيت حنا. الطبعة الأولى. بغداد . بيروت: منشورات الجمل، 2014، ص. 59–60.

الشخصية الرئيسية وهذا المعطى يكشف أن العربي داخل النص لا يمثل مركز الحدث رغم كونه ضحية الفعل الأساسي في الرواية.

ومن خلال التحليل السردي يتبين أن العربي يؤدي وظيفة مختلفة عن باقي الشخصيات؛ فهو ليس شخصية ذات مسار تطوري داخل النص، بل يتحول إلى عنصر يحرك مسار الأحداث ولذلك يغيب عنه العمق النفسي الذي نجده في شخصيات أخرى، كما أن الرواية لا تمنح العربي صوتا مستقلا داخل مشهد المحاكمة فالمحاكمة لا تنشغل كثيرا بالضحية بقدر انشغالها بتصرفات ميرسو وموقفه من وفاة أمه وحياته اليومية. وهذا التحول السردي يجعل حضور العربي يزداد تهميشا حتى بعد موته ومن زاوية أخرى فإن هذا الغياب لا يمكن فصله عن السياق التاريخي الذي كتبت فيه الرواية فالجزائر خلال المرحلة الاستعمارية عرفت بنية اجتماعية غير متوازنة انعكست على تمثيل الشخصيات داخل بعض النصوص الأدبية ولذلك فإن قراءة صورة العربي لا تتوقف عند مستوى السرد فقط، وإنما تمتد إلى فهم طبيعة العلاقات الثقافية والاجتماعية التي تؤطر النص[1].

ويظهر العربي داخل الرواية أيضا بوصفه حضورا مرتبطا بالمكان أكثر من ارتباطه بالهوية الفردية. فهو يوجد في الشارع والشاطئ والفضاءات العامة دون أن يمتلك مجالا خاصا به داخل السرد. وهذا الحضور المكاني يعكس نوعا من التهميش الرمزي الذي يجعل الشخصية موجودة لكنها غير ممثلة بصورة كاملة، كما يلاحظ أن الرواية لا تمنح القارئ فرصة للتعاطف المباشر مع العربي، لأن السرد لا يدخل إلى عالمه الداخلي ولا يكشف عن رؤيته أو انفعالاته وعلى العكس من ذلك، توجه الرواية انتباه القارئ إلى الحالة النفسية للشخصية المركزية، وهو ما يؤدي إلى إعادة تشكيل موقع العربي داخل النص.

[1] كامو، الغريب،مرجع نفسه، ص. 71–75.

ومن خلال هذا البناء تصبح صورة العربي قائمة على ثلاثة مستويات مترابطة: أولا غياب الاسم بوصفه مؤشرا على التعميم، وثانيا محدودية الكلام بوصفها شكلا من أشكال الإقصاء السردي، وثالثا تحويل الشخصية إلى عنصر وظيفي يخدم تطور الأحداث وعليه فإن العربي في رواية الغريب لا يقدم بوصفه ذاتا فردية مكتملة، وإنما يظهر بوصفه الآخر الذي يتحدد وجوده من خلال رؤية السارد وموقعه داخل السياق الاستعماري وهذا ما جعل الرواية موضوعا لنقاشات نقدية واسعة حاولت إعادة مساءلة حدود التمثيل الأدبي وعلاقته بالهوية والثقافة والتاريخ[1].

الآخر في السياق الاستعماري.

لا يمكن دراسة صورة الآخر في رواية الغريب بمعزل عن السياق التاريخي الذي نشأت فيه الرواية، لأن النص لا يتحرك داخل فضاء مجرد أو منفصل عن الواقع، بل تدور أحداثه داخل الجزائر خلال المرحلة الاستعمارية الفرنسية، وهي مرحلة اتسمت بوجود علاقات غير متكافئة على المستوى الاجتماعي والثقافي والسياسي. ومن هذا المنطلق فإن تمثيل الآخر داخل الرواية لا يقتصر على العلاقة الفردية بين الشخصيات، وإنما يرتبط ببنية أوسع تحكمها موازين القوة وتؤثر في بناء الرؤية السردية ويظهر الآخر في الرواية بوصفه عنصرا مرتبطا بواقع استعماري يجعل العلاقة بين الذات والغير غير قائمة على التكافؤ الكامل فالمجتمع الذي تتحرك داخله الشخصيات يقوم على وجود جماعتين تتقاسمان المجال الجغرافي نفسه، غير أن حضورهما داخل الفضاء الاجتماعي والسردي لا يتم بالكيفية نفسها ومن هنا تتحول الرواية إلى فضاء يكشف بصورة غير مباشرة طبيعة العلاقات التي فرضها الواقع الاستعماري[2].

ومن خلال القراءة التطبيقية للرواية يلاحظ أن الحضور الأوروبي داخل النص يتميز بالوضوح والتفصيل، سواء من خلال تسمية الشخصيات أو تقديم أوصافها أو تتبع حياتها اليومية وعلاقاتها الاجتماعية

[1] كامو، الغريب،مرجع نفسه، ص. 75–77.

[2] كامو، الغريب،مرجع نفسه، ص66–70.

أما الشخصيات الجزائرية فتبقى محدودة الحضور، ولا تحصل على الامتداد السردي نفسه ويعكس هذا التفاوت طريقة خاصة في بناء الآخر داخل الرواية ويبرز هذا الأمر منذ بداية الأحداث، حيث تتحرك الشخصيات الأوروبية بحرية داخل الفضاء السردي وتظهر تفاصيل حياتها بصورة دقيقة، بينما تبقى الشخصيات العربية مرتبطة غالبا بوظائف ظرفية داخل الحدث دون توسع في تقديمها وهذا المعطى لا يتعلق بعدد الشخصيات فقط، وإنما بطريقة توزيع الأهمية داخل النص.

ومن جهة أخرى فإن السياق الاستعماري يظهر من خلال طبيعة العلاقات الاجتماعية داخل الرواية، إذ لا نجد تفاعلا حقيقيا قائما على التعارف المتبادل بين الجماعات المختلفة، بل يظهر نوع من التعايش الخارجي الذي لا يؤدي إلى بناء معرفة عميقة بالآخر. فالعلاقات داخل النص تبقى في كثير من الأحيان محكومة بالمسافة والاختزال وتتجلى هذه المسافة بصورة واضحة في تصوير الفضاء المكاني؛ فالجزائر داخل الرواية لا تقدم بوصفها فضاء جزائريا بمرجعيته الثقافية والاجتماعية الكاملة، وإنما تظهر غالبا من خلال إدراك الشخصيات الأوروبية لها وبالتالي يصبح المكا نفسه جزءا من آلية تشكيل صورة الآخر[1].

ومن أبرز المظاهر التي تعكس حضور الآخر في السياق الاستعماري طريقة بناء الحدث المركزي للرواية، أي حادثة القتل فهذه الحادثة لا تقدم باعتبارها مواجهة متكافئة بين شخصيتين واضحتين، وإنما تتحول إلى حدث يتم إدراكه أساسا من خلال التجربة الذاتية لميرسو ويؤدي هذا البناء إلى تراجع حضور الطرف الآخر رغم مركزية موقعه في الحدث.كما أن التعامل مع الجريمة داخل الرواية يكشف عن تحول مهم في مركز الاهتمام السردي؛ إذ لا يتحول العربي إلى محور للنقاش الاجتماعي أو القانوني داخل النص، بل ينتقل التركيز نحو شخصية ميرسو نفسها وهذا المعطى يجعل القارئ يلاحظ أن الآخر لا يحتل موقعا مركزيا حتى عندما يكون طرفا مباشرا في الحدث[2].

[1] كامو، الغريب،مرجع نفسه، ص71-77.

[2] كامو، الغريب،مرجع نفسه، ص95-103.

وتكشف المحاكمة أيضا عن بعد آخر من أبعاد السياق الاستعماري داخل الرواية فالمناقشات لا تنصب بصورة أساسية على الضحية أو ظروف موته، بل تتركز على شخصية المتهم وسلوكه الفردي ونظرته إلى الحياة ومن خلال هذا التحول يصبح حضور الآخر أقل تأثيرا في بناء المعنى ومن الناحية الرمزية يمكن اعتبار أن الآخر داخل الرواية يتحول إلى حضور غير مكتمل، لأنه لا يمتلك القدرة على التعبير عن ذاته أو تقديم روايته الخاصة للأحداث. وبهذا المعنى فإن النص يقدم الآخر باعتباره موضوعا للنظر أكثر من كونه ذاتا فاعلة داخل السرد[1].

كما أن غياب الخلفية الاجتماعية والثقافية للشخصيات العربية يجعل العلاقة بينها وبين الشخصيات الأوروبية علاقة غير متوازنة من حيث التمثيل الروائي فالنص يمنح بعض الشخصيات القدرة على إنتاج المعنى بينما يحصر شخصيات أخرى داخل أدوار محددة وتكشف هذه البنية أن الاستعمار داخل الرواية لا يظهر فقط بوصفه حدثا تاريخيا خارج النص، وإنما يحضر من خلال تنظيم العالم السردي نفسه، وطريقة توزيع الأصوات، وتحديد من يملك حق الكلام ومن يبقى في موقع الصمت[2].

ومن زاوية القراءة المقارنة يمكن القول إن الآخر في الغريب لا يقدم باعتباره خصما أو عدوا مباشرا، وإنما يظهر بوصفه حضورا بعيدا نسبيا داخل بنية سردية تمنح الأفضلية لتجربة الذات الأوروبية وهذا ما يجعل الرواية تفتح المجال أمام قراءات متعددة تتعلق بعلاقة الأدب بالسياق التاريخي وتمثيل الآخر داخل الخطاب الروائي وعليه فإن دراسة الآخر في السياق الاستعماري داخل رواية الغريب تكشف أن صورة الآخر لا تتشكل فقط عبر الشخصيات أو الأحداث، وإنما من خلال آليات أعمق ترتبط بطريقة السرد وتوزيع الأدوار والتمثيل الرمزي داخل النص، وهو ما يجعل الرواية وثيقة أدبية قابلة لقراءات متعددة تتجاوز بعدها الفني إلى أبعاد ثقافية وتاريخية.

[1] كامو، الغريب،مرجع نفسه، ص 104–110.

[2] كامو، الغريب،مرجع نفسه، ص111–118.

البعد الإيديولوجي في تشكيل صورة الآخر داخل الرواية.

عند قراءة رواية الغريب قراءة تطبيقية دقيقة، لا يظهر البعد الإيديولوجي داخل النص في صورة خطاب مباشر أو مواقف سياسية معلنة، وإنما يتشكل تدريجيا من خلال اختيارات سردية تبدو في ظاهرها محايدة لكنها تؤثر بصورة عميقة في طريقة تقديم الشخصيات والعلاقات داخل الرواية فالرواية منذ بدايتها لا تعلن موقفا واضحا من الواقع الاستعماري، لكنها في الوقت نفسه تبني عالمها بطريقة تجعل بعض الشخصيات تحتل مركز الحضور بينما تبقى شخصيات أخرى على هامش السرد ومن هنا تتشكل صورة الآخر لا انطلاقا من ما يقال عنه فقط، وإنما من مقدار المساحة التي تمنح له داخل النص ويظهر أول أثر لهذا البعد الإيديولوجي في اختيار الراوي نفسه. فالرواية تكتب بضمير المتكلم، أي أن القارئ لا يرى العالم إلا من خلال وعي ميرسو. وهذا المعطى ليس شكليا، لأن زاوية الرؤية هي التي تحدد قيمة الشخصيات داخل النص فكل ما يعرف عن الآخرين يصل عبر إدراك الشخصية الرئيسية، وبالتالي فإن وجودهم السردي يبقى تابعا لموقعهم من الذات الساردة[1].

هذه المركزية تجعل العربي منذ ظهوره الأول يدخل الرواية لا باعتباره ذاتا مستقلة وإنما باعتباره عنصرا من عناصر الواقع الذي يحيط بميرسو. فلا يقدم للقارئ كإنسان له ماض أو تجربة أو حياة خاصة، وإنما يدخل في إطار علاقة غير مباشرة مرتبطة بشخصية ريمون ثم يتطور حضوره داخل الأحداث حتى يصل إلى لحظة القتل ومن خلال تتبع هذا البناء يلاحظ أن العربي داخل الرواية لا يمتلك الحق في تعريف نفسه فالقارئ لا يسمع صوته ولا يتابع أفكاره ولا يعرف نظرته إلى ما يحدث وحتى المشهد الذي يشكل مركز الرواية لا يسمح له بإنتاج خطابه الخاص وهذا الأمر ليس تفصيلا فنيا بسيطا، لأن امتلاك الكلام داخل الرواية يعني امتلاك الوجود الرمزي.

[1] كامو، الغريب،مرجع نفسه، ص116-118.

فالإنسان داخل النص الروائي لا يوجد لأنه حاضر فقط، بل لأنه قادر على الكلام والتعبير والتأثير أما عندما تصبح الشخصية مرئية فقط دون أن تكون مسموعة فإن حضورها يتحول إلى حضور ناقص وهنا يبدأ البعد الإيديولوجي في الظهور بصورة غير مباشرة ومن أهم الأمثلة التي تكشف ذلك مشهد الشاطئ. فهذا المشهد لا يقدم بوصفه مواجهة بين شخصيتين متكاملتين، وإنما يصاغ بالكامل من خلال الإحساس الجسدي لميرسو فالسرد يركز على الضوء والحرارة والتعب والانعكاسات البصرية أكثر من تركيزه على الطرف المقابل وبهذا يتحول العربي داخل الحدث إلى وجود خارجي يشارك في بناء الجو العام أكثر من مشاركته في إنتاج المعنى[1].

إن هذا الاختيار يجعل القارئ يعيش التجربة من داخل الذات الأوروبية لا من خلال العلاقة بين الطرفين. وبالتالي يصبح العربي حاضرا جسديا لكنه غائب سرديا كما أن الرواية لا تقدم لحظة القتل بوصفها لحظة صدام إنساني أو أخلاقي واضح، وإنما تجعلها تبدو امتدادا لحالة داخلية يعيشها ميرسو. وهذا البناء يؤدي إلى إزاحة مركز الحدث من الضحية إلى الفاعل ومن الناحية التطبيقية يلاحظ أن السرد بعد القتل لا يعود إلى العربي ولا إلى عائلته ولا إلى أثر الحادثة داخل محيطه، بل ينتقل مباشرة إلى تتبع حالة ميرسو النفسية ثم إلى إجراءات التحقيق والمحاكمة وهذا التحول يكشف أن الرواية لا تجعل من العربي موضوعا مستقلا داخل الحدث وتظهر الإيديولوجيا هنا في شكل توزيع للاهتمام وليس في شكل تصريح مباشر فالذي يمنح له السرد وقتا ومساحة يصبح مركزيا، والذي يسحب منه الكلام والتفاصيل يتحول إلى هامش.

كما تكشف المحاكمة بصورة أوضح هذا البعد. فمن الناحية المنطقية يفترض أن تدور المحاكمة حول الجريمة والضحية، لكن الرواية تنقل مركز الاهتمام إلى شخصية ميرسو وعلاقته بأمه وسلوكه الاجتماعي. وهنا يحدث انتقال مهم: العربي يموت مرتين داخل النص؛ مرة بالفعل السردي، ومرة ثانية حين

[1] كامو، الغريب،مرجع نفسه، ص116-118.

يفقد مركزيته حتى بعد موته وهذا الاختيار السردي يعيد تشكيل صورة الآخر بطريقة تجعل وجوده مرتبطا بما يكشفه عن الذات وليس بما يمثله هو ومن زاوية أخرى فإن الرواية لا تقدم المجتمع الجزائري كفاعل داخل الأحداث، رغم أن المكان جزائري فالشوارع والبحر والشمس حاضرة بقوة، لكن المجتمع نفسه لا يظهر بوصفه كيانا متكاملا وهذا الغياب يجعل الفضاء موجودا بينما يغيب الإنسان المرتبط به ومن خلال هذه التقنية يتحول المكان إلى خلفية للأحداث أكثر من كونه مجالا لإظهار التعدد الاجتماعي والثقافي. وهنا يتجلى شكل آخر من أشكال البعد الإيديولوجي[1].

كما أن الشخصيات الأوروبية داخل الرواية تظهر بصورة أكثر تفصيلا؛ تمتلك أسماء، علاقات، تاريخا، وحوارا، بينما تبقى الشخصيات العربية مرتبطة بوظائف محددة داخل الحدث. وهذا لا ينتج فقط فرقا فنيا، بل يصنع تفاوتا في الحضور الإنساني ومن خلال هذا كله يمكن القول إن صورة الآخر في الغريب لا تتشكل نتيجة موقف معلن ضد الآخر، وإنما نتيجة بناء سردي يجعل الذات مركز الإدراك والمعنى، ويجعل الآخر عنصرا يكتسب حضوره من قربه أو بعده عن هذه الذات ولهذا فإن البعد الإيديولوجي داخل الرواية لا يقرأ فيما تقوله الرواية صراحة، بل فيما تمنحه من مساحة وما تحجبه، وفي من تسمح له بأن يكون ذاتا ومن تتركه مجرد حضور عابر داخل العالم الروائي.

[1] كامو، الغريب،مرجع نفسه، ص116-118.

خاتمة الفصل

أبرزت الدراسة التطبيقية أن صورة الآخر داخل الرواية لا تتشكل بصورة مستقلة عن السياق التاريخي والثقافي الذي أنتج النص، بل ترتبط بمنظور الكاتب وطبيعة الخطاب الذي يوجه بناء الشخصيات والأحداث، كما أظهرت المقارنة أن تمثيل الآخر في الروايتين يعكس اختلافا في الرؤية إلى الهوية والانتماء والعلاقة مع الواقع الاستعماري.

كما كشفت القراءة المقارنة أن رواية نجمة تمنح حضورا أوسع للذات الجزائرية داخل علاقتها بالآخر، في حين تقدم رواية الغريب تمثيلا مختلفا يتأثر بالخلفية الفكرية والسردية للعمل وقد ساهم هذا الاختلاف في إظهار تنوع المقاربات الروائية لصورة الآخر داخل الأدب الجزائري والفرنسي وإبراز دور الرواية في إنتاج التصورات الثقافية والهوياتية.

الخاتمة العامة

الخاتمة

في ختام هذه الدراسة التي تناولت صورة الآخر في الرواية الجزائرية والفرنسية من خلال المقارنة بين رواية <نجمة> لـ <كاتب ياسين> ورواية <الغريب> لـ <ألبير كامو>، يتضح أن صورة الآخر لم تكن مجرد عنصر سردي عابر داخل النص الروائي، بل شكلت محورا أساسيا في بناء الرؤية الفكرية والثقافية لكل كاتب فقد ارتبط تمثيل الآخر بالسياق التاريخي والاستعماري الذي عرفته الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي، مما جعل الرواية فضاء للكشف عن الصراع بين الذات والغير، وبين الهوية الوطنية والهيمنة الاستعمارية.

وقد أبرزت الدراسة أن رواية "نجمة" قدمت الآخر من منظور وطني مقاوم، حيث سعى كاتب ياسين إلى استعادة الذات الجزائرية وإعادة الاعتبار للهوية والتاريخ والذاكرة الجماعية فالآخر في الرواية لم يكن مجرد شخصية منفصلة، بل كان جزءا من معادلة الصراع التاريخي والثقافي الذي عاشه المجتمع الجزائري، كما تجلت صورة الجزائري في الرواية بوصفه إنسانا يعاني التهميش والضياع، لكنه في الوقت نفسه يحمل وعيا بالمقاومة والانتماء وقد استطاع الكاتب من خلال البنية الرمزية للرواية أن يجعل من شخصية نجمة رمزا للوطن والهوية والذاكرة، مما منح النص أبعادا تتجاوز المستوى السردي إلى المستوى الحضاري والثقافي.

أما رواية "الغريب" فقد قدمت صورة مختلفة للآخر، حيث بدا الحضور الجزائري فيها هامشيا مقارنة بالشخصية الأوروبية التي احتلت مركز السرد وقد ارتبط ذلك بالخلفية الفكرية والثقافية لألبير كامو الذي ركز على البعد الفلسفي والوجودي أكثر من اهتمامه بإبراز الواقع الاستعماري بصورة مباشرة غير أن الدراسة كشفت أن تغييب صوت الجزائري داخل الرواية يعكس بصورة ضمنية طبيعة العلاقة غير المتوازنة التي فرضها الاستعمار، حيث تحول الجزائري إلى شخصية صامتة أو غائبة داخل الخطاب الروائي، وهو ما جعل الرواية موضوعا للعديد من القراءات النقدية التي تناولت تمثيل الآخر في الأدب الاستعماري، كما أظهرت المقارنة بين الروايتين أن صورة الآخر تتشكل انطلاقا من المرجعية الفكرية والثقافية لكل كاتب،

فبينما انطلقت رواية "نجمة" من رؤية تسعى إلى استعادة الذات الوطنية ومقاومة التهميش، جاءت رواية "الغريب" من منظور وجودي وفلسفي جعل الإنسان يعيش حالة من العبث والاغتراب وقد أدى هذا الاختلاف إلى تباين واضح في طبيعة بناء الشخصيات وفي طريقة تمثيل العلاقات الإنسانية والاجتماعية داخل النصين ومن خلال هذه الدراسة تبين أن الصورائية تعد من المناهج النقدية المهمة التي تساعد على تحليل تمثلات الآخر داخل الأدب، لأنها تكشف الخلفيات الثقافية والإيديولوجية التي تتحكم في بناء الصورة الأدبية، كما تسمح بفهم طبيعة العلاقة بين الأدب والتاريخ والهوية، خاصة في المجتمعات التي عاشت تجارب استعمارية معقدة وقد أكدت الدراسة أن صورة الآخر لا تعكس الواقع بصورة مباشرة، بل تخضع لرؤية الكاتب ولموقفه من العالم ومن الآخر المختلف ثقافيا وحضاريا.

وتوصلت الدراسة كذلك إلى أن الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية استطاعت أن تحول لغة المستعمر إلى أداة للمقاومة والتعبير عن الذات الوطنية، وهو ما يظهر بوضوح في أعمال كاتب ياسين، كما أثبتت أن الأدب لا يقتصر على الوظيفة الجمالية فقط، بل يؤدي دورا فكريا وثقافيا في تشكيل الوعي الجماعي وإعادة قراءة التاريخ من زوايا متعددة.

وفي الأخير، يمكن القول إن دراسة صورة الآخر في الأدب تظل مجالا خصبا للبحث والنقد، لما تفتحه من آفاق لفهم العلاقات الثقافية والحضارية بين الشعوب، كما أن المقارنة بين "نجمة" و"الغريب" كشفت عن اختلاف الرؤى بين الرواية الجزائرية والرواية الفرنسية تجاه الإنسان والهوية والذاكرة، وأكدت أن الأدب يظل شاهدا على التحولات التاريخية والاجتماعية والثقافية التي تمر بها المجتمعات ومن هنا تبرز أهمية مواصلة الدراسات المقارنة التي تهتم بتمثلات الآخر، لما لها من دور في ترسيخ قيم الحوار والتعدد الثقافي وفهم الذات والغير في عالم تتزايد فيه التفاعلات الحضارية والإنسانية.

قائمة المراجع

قائمـة المراجـع

القواميس والمعاجم

ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. ط1. بيروت، لبنان: دار صادر، 2000.

غيث، محمد عاطف. قاموس علم الاجتماع. ط1. المعرفة الجامعية، (د.م)، (د.ب).

مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط. ط4. القاهرة، مصر: مكتبة الشروق الدولية، 2004.

وهبة، مراد. المعجم الفلسفي: معجم المصطلحات الفلسفية. ط4. القاهرة، مصر: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1998.

الكتب

أبو شهاب، رامي. الرهان والمخاتلة: خطاب ما بعد الكولونيالية في النقد العربي المعاصر (النظرية والتطبيق). ط1. بيروت، لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2013.

إدجار، أندرو وآخرون. موسوعة النظرية الثقافية: المفاهيم والمصطلحات الأساسية. ترجمة هناء الجوهري، مراجعة وتقديم محمد الجوهري. ط2. القاهرة، مصر: المركز القومي للترجمة، 2014.

إدوارد سعيد. الاستشراق. ترجمة محمد مصطفى. القاهرة، مصر: الهيئة العامة للكتاب، 1995.

إسكاريه، روبيرت. سوسيولوجية العرب. ط3. بيروت، لبنان: عويسات للنشر والطباعة، 1999.

البازعي، سعد. شرفات للرؤية: العولمة والهوية والتفاعل الثقافي. ط1. الدار البيضاء، المغرب؛ بيروت، لبنان: المركز الثقافي العربي، 2005.

بحراوي، حسن. بنية الشكل الروائي. ط1. الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي، 1990.

بدر يوسف، شوقي. الرواية والروائيون: دراسات في الرواية المصرية. ط1. الإسكندرية، مصر: مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، 2006.

بعلي، حفناوي. صحراء الجزائر الكبرى في الرحلات وظلال اللوحة في الكتابات الغربية. (د.ط). دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، (د.م)، (د.ب)، (د.ت).

بكار، يوسف، وخليل الشيخ. الأدب المقارن. (د.ط). مصر: الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، 2008.

بوجيلدة، عمر. فكر الهجنة والوعي بالآخر: السرديات العنصرية والمثقف المقاوم. ضمن: إدوارد سعيد: الهجنة والسرد والفضاء الإمبراطوري. الجزائر: دار ابن النديم للنشر والتوزيع؛ بيروت، لبنان: دار واقد الثقافية ناشرون، 2013.

الحاج، ساسي سالم. نقد الخطاب الاستشراقي: الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية. ج1، ط1. ليبيا: دار الكتب الوطنية، 2002.

حامد، زهران. التوجيه والإرشاد النفسي. ط2. عالم الكتب، (د.م)، (د.ب)، 1988.

حمداوي، جميل. الأدب المقارن وفق نظرية الأنساق المتعددة. ط1. المغرب: دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني، 2020.

الداوي، عبد الرزاق. موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر. ط1. بيروت، لبنان: دار الطليعة، 1992.

ريكور، بول. الذات عينها كآخر. تقديم وتعليق جورج زيناتي. ط1. بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، 2005.

زايد، عبد الصمد. المكان في الرواية العربية: الصورة والدلالة. (د.ط). صفاقس، تونس: دار محمد علي للنشر، (د.ت).

السليمان، أحمد ياسين. التجليات الفنية: العلاقة بين الأنا والآخر في الشعر العربي المعاصر. (د.ط). دمشق، سوريا: دار الزمان، (د.ت).

شحاتة، حسن. الذات والآخر في الشرق والغرب: تصور ودلالات وإشكالات. ط2. القاهرة، مصر: دار العالم العربي، 2008.

طرابيشي، جورج. شرق وغرب: رجولة وأنوثة – دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية. ط2. بيروت، لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1979.

عبد الوهاب المسيري. الأقليات والآخر في الفكر العربي. القاهرة، مصر: دار الفكر العربي، 2001.

عصفور، جابر. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب. ط3. بيروت، لبنان: المركز الثقافي العربي، 1992.

عصفور، جابر. المرايا المتجاورة: دراسة في نقد طه حسين. (د.ط). القاهرة، مصر: دار قباء، 1998.

علي يوسف. الآخر في الأدب العربي. عمان، الأردن: دار المناهج، 2008.

العودات، حسين. صورة العرب لدى الآخر في ضوء العلاقات التاريخية. ط1. بيروت، لبنان: دار الساقي، 2014.

فاطمة الزهراء. اللغة والهوية الثقافية. الرباط، المغرب: دار النشر المغربية، 2010.

كاتب ياسين. نجمة. ترجمة ملكة أبيض العيسى. بيروت، لبنان: كتاب في جريدة، 2009.

كاظم، نجم عبد الله. الرواية العربية المعاصرة والآخر: دراسات أدبية مقارنة. ط1. إربد، الأردن: عالم الكتب الحديث، 2007.

كامو، ألبير. الغريب. ترجمة محمد آيت حنا. ط1. بغداد. بيروت: منشورات الجمل، 2014.

ليتش، إدموند، وكلود ليفي ستراوس. ترجمة ثائر ديب. ط2. دمشق، سوريا: دار الغرقد، 2010.

محمد شاكر. مدخل إلى الدراسات الثقافية. بيروت، لبنان: دار الطليعة، 2005.

المسدي، عبد السلام. الأسلوبية والأسلوب. ط1. تونس، تونس: الدار العربية للكتاب، 1982.

معوش، سالم. صورة الغرب في الرواية العربية. ط1. بيروت، لبنان: مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، 1998.

ملحان، ريمون. الأدب المقارن والأدب العام. ط1. بيروت، لبنان: دار الكتاب اللبناني، 1972.

منور، أحمد. الأدب الجزائري باللسان الفرنسي: نشأته وتطوره وقضاياه. ط1. الجزائر: دار التنوير، 2013.

مهيدات، نهال. الآخر في الرواية النسوية العربية: في خطاب المرأة والجسد والثقافة. ط1. إربد، الأردن: عالم الكتب الحديث، 2008.

نجمي، حسن. الفضاء السردي. ط1. الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي، 2000.

الوائلي، عامر عبد زيد. تأصيل مفهوم الاستشراق. ضمن: موسوعة الاستشراق: معاودة نقد التمركز الغربي وكشف التحولات في الخطاب ما بعد الكولونيالي. إشراف وتحقيق عامر عبد زيد الوائلي وطالب محيبس الوائلي. ط1. بيروت، لبنان: ابن النديم للنشر والتوزيع ودار الروافد الثقافية ناشرون، 2015.

المقالات والمجلات

دارج، فيصل. "الرواية العربية". مجلة المستقبل العربي. العدد 379. بيروت، لبنان، سبتمبر 2010.

شرشار، عبد القادر. "بناء الآخر في أدبيات الصراع العربي الصهيوني". مجلة الموقف الأدبي. العدد 370. دمشق، سوريا، فبراير 2002.

المراجع باللغة الأجنبية

Didier, Hugues. Image et imaginaire dans la littérature. 1re édition. Paris, France: Presses Universitaires, 1989.

Moura, Jean-Marc. L'Europe littéraire et l'ailleurs. 1re édition. Paris, France: Presses Universitaires de France, 1998.

Moura, Jean-Marc. Littérature comparée. 1re édition. Casablanca, Maroc: Éditions Dar Toubkal, 1998.

Pageaux, Daniel-Henri. La littérature générale et comparée. 1re édition. Paris, France: Armand Colin, 1994.

Pageaux, Daniel-Henri. Littérature comparée. 1re édition. Beyrouth, Liban: Dar Al-Farabi, 1994.

قائمة الملاحق

ألبير كامو

12.9.2015

الغريب

ترجمة
محمد آيت حنا

منشورات الجمل

رواية

www.kutub-pdf.net

كتاب الجديدة

أسبوعية سياسية ثقافية عامة تصدر عن مؤسسة البيان للصحافة والطباعة والنشر

العدد 130 - الثلاثاء 13 يناير (يونيو) 2009

نجمة

رواية

كاتب ياسين

رسوم: دنيس مارتينيز

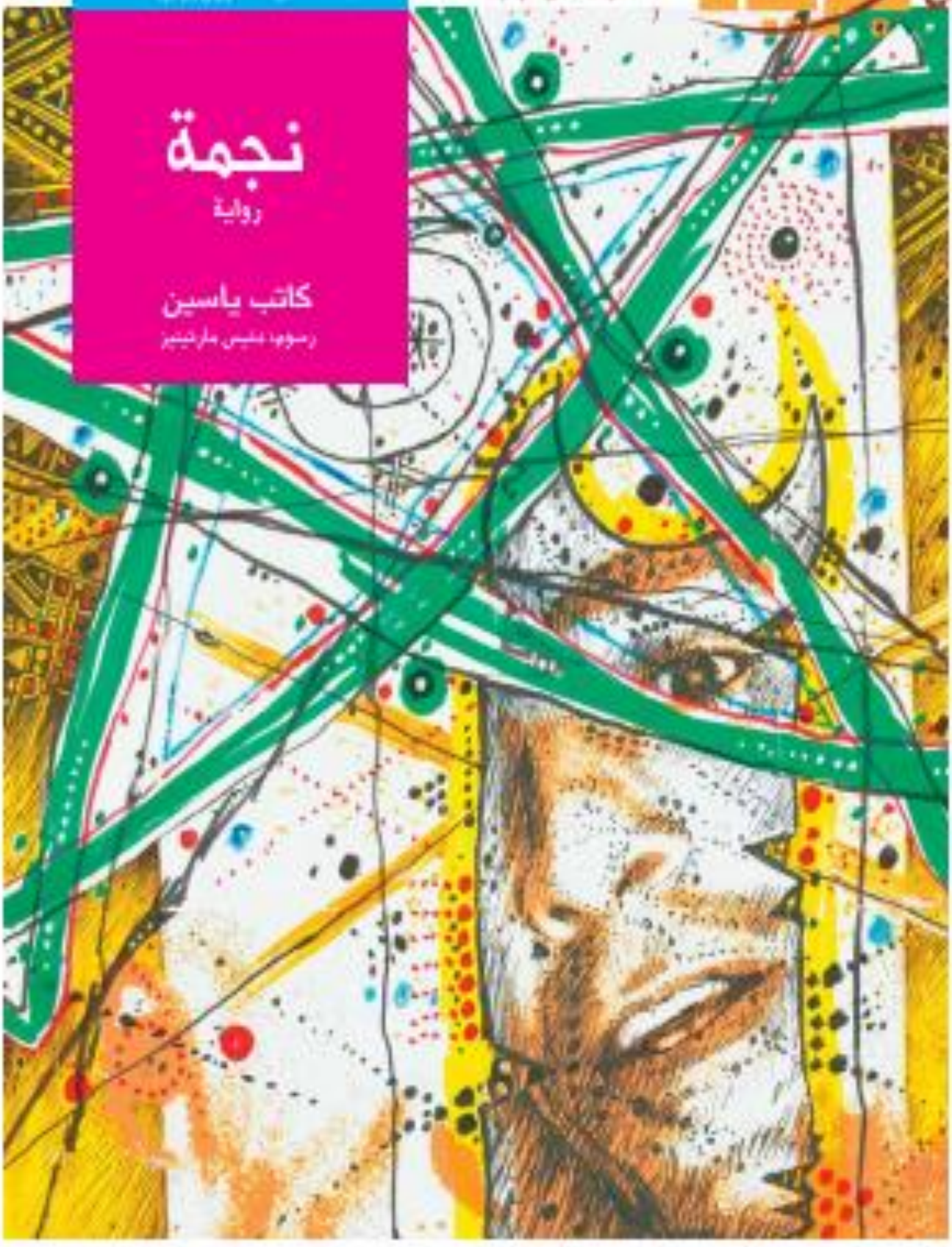

SBEAL JABER Foundation

المؤسسة الثقافية

الجديد للطباعة